

روايات رومانسية عالمية
عابر



ماري ويبرلي

الوجه الآخر للذئب



مكتبة شهرزاد

روايات رومانسية عالمية عبير

الوجه الآخر للذئب

عاشت جين

في كنف خالتها دورثي من غير

ان تعلم شيئا عن والدها سوى ما أخبرتها اياه

الخاله وهو ان هذا الاب القاسي الاناني تخطى عنها. منذ

١٢ سنة وغادر البيت الى غير رجعه. وفجأة عرفت جين ان

والدها لم يتخل عنها. وانه كان يرسلها باستمرار من دون ان تصلها

ايه رسالة. الى ان وقعت على الرسالة الاخيرة التي يدعوها فيها الى

زيارته في جزيرة (سارامانكا) وفي المطار اصطدمت جين بمشهد ألها: رجل

ضخم الجثة يصرخ في امرأة صينية مسنة. واثنان من اتباع الرجل يأخذانها

الى جبه مجهولة. وتساء الصدفة ان تلتقي جين الرجل نفسه بعد وصولها

الى الجزيرة. وفي بيت ابيها بالذات. وتتكرر المصادفات وكذلك اللقاءات.

وفي كل لقاء كانت جين فريسة احاسيس متناقضة تجاه الرجل الذي

ارعبها تصرفه في المطار من هو هذا الرجل. وما هي حقيقة قصه

المرأة الصينية.. وما هو الدور الذي يلعبه السيد غرانت في

الجزيرة.. وكيف انتهى الصراع الطويل المرير بين جين

والرجل القوي؟

مكتبة تحزن

١ - أنا آتية يا ابي

أول ما شاهدت جين هذا الرجل نفرت منه وقضت شفتيها وسارعت الى المجلة المفتوحة فوق ركبتيها محاولة أن تحجب عن أذنيها ضجة الاصوات المرتفعة في مبنى المطار الذي تشوبه لوعة الحرارة في المرحلة النهائية من رحلتها الى جزيرة سارامانكا . كانت الحالة دورثي تبعد عنها آلاف الأميال . هناك في انكلترا ، وبرغم ذلك كانت كلما تظن في أذنيها : لن تستطيعي ان تعيش وسط هذا الفجيج .

لم تكن هناك فائدة . فقد كان من المستحيل تجاهل ذلك المشهد كما كان من المستحيل تجاهل الحالة دورثي وقد انطلقت في انفعال . رفعت جين رأسها على مضض ونظرت ثانية الى الرجل المنسحب في تلك الضجة . كانت قامت أطول من الآخرين . وشاحاً أمام بعض الموظفين ، وأمام المرأة الصينية المنحنية متشبثة بحقيبتها الكرتونية الرثة . كان هناك أيضا عدد من المتفرجين الذين شذف ذلك المشهد . كان الرجل غاضباً وبرغم هذا لم يكن صوته مرتفعاً . بيد أنه عندما كان يشكلم . كان يفعل كمن له سلطان . وكان الآخرون يسمعون لفته وجيزة . ليتحركوا من جديد ملوحين بأيديهم . وجهينهم مكثود في بأس

واضح. لم تكن لدى جين أدنى فكرة عما يدور. المرأة الصينية يعلو هامتها المشيب، هادئة بجلال غريب وسط ذلك الهياج.
«يبدو أننا سنظل هنا إلى أن تنتهي المشكلة»
رفعت رأسها سريعاً لتنظر إلى الرجل في جوارها. يبدو أنه أميركي. وقد تدلت آلة تصوير من عنقه فوق قميص متقشر بأزهار مخطف البصر.
«نعم، ورغم أنني لا أعرف السبب»

الرجل كان في الستين من عمره، بشرته سمراء وشعره كستنائي وعينه بيشان، جلس في جوارها. وقد اعتبر ودعا دعوة صريحة لتبادل الحديث وقال:

«يبدو أن ذلك الشخص الضخم يعترض على أن تستقل السيدة الصينية الطائرة إلى سارامانكا. أو على الأقل هذا هو الانطباع الذي كونته»

نظرت عبر القاعة نحو الرجل. ترى ماهي فرصة مثل تلك المرأة المسكينة للوقوف أمام رجل كهذا؟ من الواضح أنه لا توجد فرصة على الإطلاق. ثم بدأ الجمع يتفرق. واقتاد أحد المسؤولين المرأة بعيداً تاركاً إياها تحمل حقيبتها بنفسها.

وما أفل ذوقه...

لم تكن تعي أنها تحدثت بصوت مسموع إلى أن رأت الرجل الجالس جوارها يلوي قسماً وجهه في شبه إبتسامة.

«أنه يبدو كرجل قادر أن يصل إلى ما يريد»

وقدم لجين بطاقته:

«دعيني أقدم نفسي. جاكسون تى ميلار. يمكنك الاحتفاظ بها هل أنت ذاهبة إلى سارامانكا»
«نعم، في أجازة»

ترددت جين عند لفظها الكلمة الأخيرة. فليس في وسعها أن تشرح لهذا الغريب عن أسباب سفرها.

«ساحضر بعض المربطات. ما هو شرايك المفضل»

ترددت جين ولكنها إبتلعت مخاوفها وقالت بخجل:

«أي شيء مثليج من فضلك. أسّي جين. جين ريتشي»

«إني مسرور بلقائك يا جين. فأنا لا أحصل كل يوم على فرصة التحدث مع فتاة جميلة»

إختفى وسط الناس، الذين بدأوا يتحركون الآن تحركاً طبيعياً بعد

أن انتهى الحدث المشي إختفى الرجل الضخم. لكن أحست جين

برعشه خفيفة لم تره إلا عن بعد مع ذلك تلتق إنطباعاً بأن قوة قاسية

تبعث منه. الرجل شديد السمرة وقد لفحته الشمس. يرتدي بزة بلون

الطبي الصغير من قماش خشن. لن تراه ثانية. هذا شيء يسعددها. بدأ

ينتقع قدر من اليأس الذي خيم على جين قبل أن تترك لندن منذ

ساعات. فهي لم تقدم على شيء خاطيء على الإطلاق. كل شيء

يسير على مايرام. ورغم تباؤات الحالة دورتي الليلة بالتلازم

تطلعت جين أمامها. لكنها لم تر ذلك الحشد. ولم تسمع تلك

الثرثرة الحادة المتنوعة اللغات لللحظات عادت بذاكرتها إلى لندن

لنعيش من جديد الصدام المرير مع خالتها.

«فأنها فرصتك الأخيرة. إذا ذهبت فلن تعودى إلى هنا أبداً»

كانت الحالة دورتي تقف في جوار النافذة مولية ظهرها لجين .
وعين إستدارت ببطء كانت هناك بقعتان مشتعلتان فوق وجنتيها
وأحسّت جين برغبة تسمري فيها بقوة لعلها من الشعور بالاشفاق . إذ
فجأة رأت عمتها على حقيقتها . امرأة وحيدة في خريف عمرها تشعر
بالمرارة وهي ترى ابنة أختها تتحذاها للمرة الأولى في حياتها .

«غالتي دورتي . اعلم أنك كنت كريمة للغاية عندما سمحت لي بأن
أعيش معك السنوات الست الأخيرة وأنا اقتر كل مافعلته من أجل .
ولكن ألا تستطيعين أن تتفهمني موقفي . أريد أن اشاهد والدي ألا
يمكنك أن تحاولي أن تفكري وضعي؟»

«كنت في السادسة من عمرك . عندما هجر والدك البيت ولم يسأل
عنك . ماذا تذكرين قولي ؟ لا شيء . لم يكن يصلح شيء . ولن يصلح
أبدا» .

كانت بدا الحالة دورتي مشبهتين بظهر المقعد وقد بدت مفاصلها
بيضاء من التوتر ووجهها شاحبا .

هزت جين رأسها وهي تقول :

«بعثت إلي برسائل مرات عدة . دون أن تصلني واحدة منها . ولو لم
يكشف لي ساعي البريد إلى مصادفة لما علمت بذلك . لماذا أخفيت
الرسائل عني؟»

«فعلت ذلك من أجلك انت . لم أكن أريد أن أزعجك» .

«كانت الرسائل لي . لم يكن من حقلك أن تقلبها عني» .

«كان لي كل الحق . أنت تعيشين في بيتي وفي حمايتي» .

ضغطت جين على الرسالة الأخيرة التي تمزقها بالشجاعة لم تعد

تخشى الآن تلك المرأة التي سيطرت على حياتها منذ كانت في الثانية
عشرة من عمرها . منذ وفاة أمها .

«أنا لم أدرك إلى أي حد كنت مستامة لبقائي معك . أنا أسفة ولكني
سأبذل قصارى جهدي لأعرضك عما بذلت . سأعمل في عطلة نهاية
الاسبوع إيهان دراستي في كلية المعلمات» .

أمسكت عن الكلام بعدما رأت وجه خالتها الغاضب المتجهّم .
اندفعت الدموع إلى عينيها . أحسّت بصدمة حين إكتشفت فجأة أن
خالتها تضمنّ عليها بذلك الرعاية التي منحتها إياها طوال تلك
السنين . والآن اتخذت جين قرارها . ولا عرفة عنه . لم يحدث ما يحدث
فهي ذاهبة لرؤية أبيها . انه لم يكن في حالة صحية تسمح له بالسفر
والأ لكان حضر إلى انكلترا . أبلغها ذلك في رسائله . رسائله التي ظلت
حبيسة صندوق مكتب خالتها . قرأتها جين جميعا رسالة رسالتان
كل عام . من أماكن مختلفة من شتى أنحاء العالم . عدا الرسائل الأربع
الأخيرة . فجميعها أرسلت من جزيرة في المحيط الهندي . اسمها
ساراموكا . كانت طوابع تلك الرسائل رائحة الجبال عليها صور
لطيور وأزهار غريبة بعثت جين على الفور برسالة إلى العنوان
المثبت على متن الرسالة المهترئة . وجاءها الرد بعد خمسة أيام . رسالة
مقتضبة . رسالتى في الطريق إليك وفيها تفقات الطائفة . إحضري
أرجوك .

مسحت جين دموعها . واستدارت تحمل حقائبها . لم يعد هناك
بجالات لأي حديث .

«هيا، إستيفظي يا حلوتي جين . ان الثلج ينوب»
كلمات قليلة اعادت جين الى الواقع، لترى صديقها الجديد يرقبها
بابتسامة عريضة.

«أنا أسفة، سافرت مع تأملاتي الى بعيد»
أخذت الكوب المقدم اليها، شاكرة صديقها الاميركي، ثم مر في
جوار المائدة احد الخدام ليقول:

«ستقل الطائرة بعد خمس عشرة دقيقة»
قاومت جين احساساً بالذعر بدأ يهاجمها. لقد إقتربوا الآن من
نهاية رحلتهم. ماذا لو كانت الحالة دورشي على حق: هل هي
منتهورة حقاً! انطلقت الافكار في دوامه جنونية. ثلاث ساعات
أخرى ويصلون.

سألت رفيقها الاميركي:
«هل ذهبت قبل الآن الى سارامسكا»
«نعم، مرة أثناء الحرب لا يمكنني ان انساها. وهذا هو سبب عودتي
اليها».

«اخبرني عنها بالتفصيل»
«أظن أنها مختلفة الآن، لكنها مكان فسيح قد يصل طولها الى ستين
ميلاً. تبدو من الطائرة وكأنها سمكة عملاقة. خضراء جداً، نباتها
مورق وطبيعتها غنية بما يسحر ويريح».

كانت في عينيه نظرة حاملة كأنه غجري منطلق مع قيثارته:
«نعم ياسيديتي، انها رائعة هناك ينمو قصب السكر على مدى أميال
وأميال».

«هل أنت ذاهب في أجازة؟»

«يمكنك ان تسميها رحلة الى الماضي».

توقف قليلاً ثم ابتسم وقال:

«ولكن ما الذي يجعل فتاة مثلك تقطع كل هذه المسافة وحيدة لتأتي
الى هنا».

روت له جين بايجاز قصة رسالة أهبها ودعوته المفاجئة لها.
«هذا شيء رائع. ألم تربيه منذ اثنتي عشرة سنة؟ أراهن أنه سيكون
لقاءً رائعاً».

عبر الميكروفون جاء صوت المذيعة الجلف:

«الرجاء من المسافرين الى سارامسكا التوجه الى الباب الرئيسي»
جلست جين في قعد مجاور للنافذة محدقة في الحشد الصغير المتجمع
أمام مدخل الباب الرئيسي وأحست بالارتياح وهي ترقب ذلك الحشد
لأنه لم يكن هناك أثر لذلك الرجل الغريب الطويل القامة. أقلعت
عدة طائرات منذ أن حدث ذلك المشهد الكريه في المطار. من
المحتمل أن يكون قد استقل إحداها. لم يكن هناك أثر أيضاً للمرأة
الصينية. وتساءلت جين عما يكون قد حدث لها. إن منظر تلك المرأة
العجوز وهم يقودونها بعيداً لا يبرح مخيلتها. وعندما كانت على وشك
أن تدبر رأسها بعيداً عن النافذة لتحدث رفيقها المنهمك في دراسة
بعض الأوراق التي استخرجها من مخفظته، توقفت وأطلقت شهقة
وقالت:

«أوه - لا».

«ماذا هناك؟»

«أنظر»

أشارت جين إلى رجل طويل يسير منهلاً خارجاً من المبنى. كان هو ذلك الرجل نفسه، الذي تسبب في ذلك الصخب يسير الآن نحو الطائرة. كان قد خلع سترته، وجعلها فوق كتفه، كان يبدو وكأنه غير مهال بأي شيء حوله.

«اعتقدت بأنه رجل»

«أنا أيضاً. هل قلت إن سارامكا كبيرة؟»

«كبيرة بالقدر الذي يكفي لكي لا تصدمي به، إذا كان هذا ما تعنيه من السؤال»

ضحك ضحكة خفيفة وقال :

«هل تكرهينه إلى هذا الحد؟»

«أنا لا أحب أي شخص يستخدم مائه وتقوده أو أي شيء. ليستأسد على من هم أضعف منه»

«في عينيك يريق غامض، ألدوين أنك جميلة حقاً؟ تذكريني بابتني الصغرى»

لمحس جيب سترته وأخرج محفظة سحب منها صورة بناته وزوجته، فراحت جين تلهي نفسها بشاهدة الصور كيلا ترى الرجل الضخم الذي دخل الطائرة في اللحظة نفسها، حائياً رأسه ثم سار متجهاً نحوها.

«أنتن جميعاً جميلات»

قالت ذلك وهي تتجاهل المضيفة وهي تحوم حول الرجل الذي استقر في مقعد في مؤخرة الطائرة. وقد جرت بينهما أحاديث لم يكن في

وسمها أن تسمعها

وعادت جين تتأمل افراد عائلة رليفها الأميركي. عرفت ماذا كان يعني جاكسون بالتشابه بينها وبين إبنته. كانت الفتاة طويلة، ربما أطول قليلاً من جين، كان شعرها طويلاً مسترسلاً داكناً، كما كان هناك تشابه طفيف مع عيني الفتاة الواسعتين ذاتي الرموش الكثيفة. أعادت جين الصور مبتسمة. كانت برغم كل شيء متبهة تماماً إلى وجود الرجل الجالس خلفها. وعين دعي الركاب إلى ربط الأحزمة استجابات بصورة تلقائية. قد تكون تلك هي المرة الأخيرة التي ستري فيها الرجل الضخم بعد مغادرة المطار. في أي حال ان ما سمعها الآن هو انها ذاهبة إلى والدها. لفتحهم الحرارة وهم يغادرون الطائرة. تعثرت جين على السلم فأمسك جاكسون بذراعها ثم نظر إليها. في حنان وقال :

«هل سيكون والدك باستقبالك؟»

هزت رأسها وهي تطرف بعينها قليلاً من شدة وهج الشمس :
«كلا. طلب من إحدى جاراته ان تستقبلني أرسلت صورتي في رسالتي الأخيرة وقال لي إنها ستتعرف علي أنا أشعر ببعض اللوار»
«سأنتظر حتى تأتي هذه الصديقة. لا أحد يعرف ما سيحدث»
«أنت طيب للغاية، لكنني»

«لا يمكنني ان اتخل عنك وأنت في هذه الحال»

«أسفة ماذا قلت؟»

أعادها صوت جاكسون مرة أخرى إلى الواقع.

«يبدو أن تلك السيدة القصيرة تلوح لك»

نظرت جين الى الحشد الصغير المتجمع خلف حاجز خشبي.
الجميع يلوحون بالناديل تتطلق منهم أصوات سعيدة صاخبة. رأت
امرأة شقراء تلبس ثوباً بسيطاً مشجراً بالأزهار. كانت تمسك بصورة
توتوغرافية، وصيحتها متحدتان في جين وهي تبسم.
«أنت على حق. هذه المرأة جاءت لترافقني.»
لم يكن ما عاشته حلياً. أن أباهم موجود هنا بالفعل. وقد أرسل في
طلبها.

قالت المرأة الشقراء ذات الأربعين عاماً :
«يا عزيزتي، عرفتك فوراً - أنا ميفان ديفيز جارة أبيك هل كانت
رحلتك جيدة؟»
«رائعة - شكراً لكنني متعبة قليلاً.»
وبعدما تعرف جاكسون الى المرأة قال :
«سعدت بلقائك يا ديفيز. كنت أود فقط التأكد من أن شخصاً ما
سيكون في لقاء جين.»
قالت جين ضاحكة :
«شكراً لك على رعايتك واهتمامك.»

وبعد مغادرتهم أرض المطار حدث شيء غريب. أطلقت ميفان
نغير سيارتها ولوحت بيدها. استدارت جين وفي فلتها أنها تلمح
لجاكسون لكنها كانت سيارة مرسيدس بيضاء انطلقت بجوارها.
وأثناء ذلك حيا السابق ميفان. لم يكن ذلك الشخص سوى الرجل
المشاعب الضخم.

«لم أعرف أنه عاد على الطائرة نفسها معك.»

استدارت ميفان في ذهول في اتجاه جين. ورأت التعبير الذي
يملو وجهها وقالت:
«ماذا هناك يا جين؟»
«لا شيء... سبق لنا وشاهدنا هذا الرجل في مطار جانر كان يتشاجر مع
بعض الموظفين.»
انطلقت ميفان ضاحكة :
«انه غافن غرانت المعروف في كل مكان. ماذا كان سبب الشجار؟»
«لا أعرف.»

ردت جين بهيؤ مدركة أنها تقف على أرض زلقة. فهذا الرجل، كما
يبدو صديق لميفان. لذا ينبغي ألا تحسن به.»
«لكنها لم تستطع الكذب، وأقصحت قائلة :
«جاكسون يعتقد أنه كان يحاول منع امرأة صينية من أن تستقل
الطائرة. كانت تقف هناك ممسكة بحقيبة مغطاة من الكرتون، ثم
اقتادوها بعيداً وما عدنا رأيناها.»
«أنا واثقة، أن الحقيقة تختلف عن المظهر تماماً.»
«كيف حال أبي؟»

أدارت جين ان تغير مجرى الحديث
«ليس على مايرام يا جين. انه في شوق الى رؤيتك طوال الاسابيع
القليلة الماضية ومنذ أن قلت إنك قادمه كان كالطفل. اضطر مالك
أن يعطيه مهداً غير مرة.»
«ماك؟»

«الدكتور داتكان ماكديونا هو معروف لدى أبناء الجزيرة باسم مالك

أنه لم يقدأ أهدأ لهجته الاسكتلندية الواضحة وهو ووالدك صديقان قديمان.»

«بماذا يشعر ابي؟»

«لأنك طلب منه أن يذهب ليعرض نفسه على صديق له أخصائي في سيلان. لكنه رفض باصرار أرجو ان نحاول اقتاعه.»

«سأحاول بالطبع.»

«وبنت ميفان على ذراعها.»

«أنا سعيدة بمجيتك يا جين فانا في حاجة الى صديقة تخفف عني وطأة الرجال.»

«هل هذا أمر سيء؟»

«كلا، ولكن ليس في وسعك أن تتحدثي معهم بالطريقة نفسها. أنتستطيعين ذلك؟ ابني كولين سيحاول على الأرجح أن يخطئك بعيداً، لكنني سأكون حازمة.»

«كولين ماعمره؟»

«كانت جين تصوره غلاماً في سن المراهقة.»

«٢٢ سنة. أنه يعمل لدى غافن.»

«أنا لا أعرف أي شيء عنك وعن عائلتك.»

«أنا أظن قريباً من أبيك. وعندما أتول جارتك الملاصقة فهذا صحيح الى حد ما لكن منزلي بعيد عنه حوالي نصف ميل تقريباً. أنا أرعلة منذ سبع سنوات وأعيش مع كولن. أما أبوك فيعيش وحيداً باستثناء إلين مديرة المنزل هي لطيفة للغاية ولكنها ميالة جداً الى السيطرة. ثم هناك غافن.»

«أتعتين ان غافن جار لأبي أيضاً؟»

«نعم يجب أن ترى منزله يا عزيزتي أنه خرافي. فهو في الواقع يملك الجزيرة ويقرض عليها قوائمته الخاصة كما ستكتشفين بنفسك.»

«ضحكت ثم استطردت:

«هناك ليوني سايث وأبنتها سارة لكن منزلها بعيداً أميالاً عدة. ستلتقين بهما حتماً. أحب ان أعرف رأيك فيهما. ان ليوني ترغب في أن ترى أبنتها زوجة لغافن، وهي قد ترى فيك المنافسة الخطيرة. ألم يقل لك أحد بعد كم أتت جميلة؟ لو كنت أملك عينيك الخضر او بن لكت في قمة السعادة.»

«صمتت جين، أدركت فجأة أن ميفان كانت تتحدث في صدق، الحالة دوروثي غرست فيها وبصقة مستمرة أنها مجرد فتاة عادية، وتقبلت هي هذا الوضع. كان ذلك يجعل الحياة أسهل. والان بدأت تدرك أن آراء العائلة ليست دائماً في محلها.

«وصلنا الى المنطقة المتحضرة، بدت لمحات خاطفة لبعض القيلات من خلال أشجار النخيل الكثيفة. مبان منخفضة بيضاء ذات أبواب ملونة، وصاحت جين:

«أنها رائعة.»

«وصلنا الآن الى منزل غافن، انظري الى يسارك يا جين، هناك منزل عال ذو شبايبك خضراء وسطوع من الترميد، تحيط به حديقة ملائ بالاشجار والازهار المانعة المورقة من كل نوع ولون.»

«هل يسكن هنا؟»

«نعم، أنه يقيم حفلات رائعة تظل حديث سارامتكا كلها.»

شعرت جين بما يشبه الجيشان بسبب حرارة الجو من جهة وبسبب ازدياد كرهها لغافن الذي يحظى، على ما يبدو، باحترام المرأة التي ترافقها.

وعقدت العزم على ألا تذهب الى اي من حفلاته اذا دعاها وهذا أمر مستبعد.

أدركت، وقد أسرعت خفقات قلبها، أنها يقتربان من منزل أبيها. كيف سيكون شكل البيت من الواضح أن هناك ثراء أين هو عما قالته المحالة دورثي؟ قالت أنه على الأرجح يعيش في كوخ بناء من اعشاب الشاطئ، باليئتها كانت هنا الآن.

«أشكرك، لك يا ميفان حضورك للقياس».

ضجعت ميفان قائلة:

«يجب أن أعترف بأنني كنت متشوقة لأراك أمل أن اكون حاضره عندما تلتقيين ليون وسارة».

«أنا لارجو ذلك أيضاً يا عزيزتي».

«وصلنا».

إنعطفت السيارة الى طريق خاص واسع متعرج يشبه كثيراً الطريق المؤدي الى منزل غالفين غرائت غير أن المسافة بين الطريق والقبلا، البيضاء التي ظهرت الآن كانت أقصر، شجعت جين في دحشة عندما شاهدت المنزل. كانت هناك شرفة طويلة فيها أعمدة بيضاء نحيلة تدعم قرميد السقف. وكانت النوافذ ذات لون أخضر فاتح وقد فتحت على مصراعها أمام أشعة الشمس. كل هذا يحاط بمنظر الأزهار والورود ذات الرائحة الشديدة وقد ترعرعت في انطلاق

حول الحشائش الخضراء،

قالت جين :

«لم اكن اتوقع ان يكون بيت أبي في مثل هذا الجمال».

«حشا تعالى يا عزيزتي فأبوك ينتظرك».

كان هناك شيء غريب في الطريقة التي تحدثت بها ميفان لكن جين لم تكتشف السبب إلا بعد فترة. خرجت من السيارة وهي تشعر بالتعب. وسط حرارة شديدة مشبعة بالرطوبة.

قالت ميفان :

«ستعنادين ذلك حاولي الاحتفاظ بطاقتك الى ما بعد الظهر وأؤكد لك أن الجو يصبح أبرد وأنطف في المساء».

دخلتا الى بهو رطب جدرانها بيضاء فيه سجاجيد رقيقة فوق أرضيته الخشبية اللامعة. كان هناك أيضاً العديد من اللوحات المعلقة فوق الجدران. وغيتار يتعكس خشبه الداكن الضخم مع لون الجدار الأبيض المبهر من خلفه فرحت جين برؤية الغيتار وكانت على وشك أن تتكلم عندما سمعت صوتاً يقول:

«ميفان ، هل أحضرت ابنتي معك؟».

جاء صوت ميفان بنغم شجي:

«نعم يا جون ، وستأتي قورا».

دخلتا غرفة جلوس سريحة في مؤخرتها نوافذ واسعة تطل على مزيد من الحدائق تحدر نحو غابة من النخيل ذي الورق اللامع المتعرج. تناثرت في الغرفة قطع من الأثاث الخيزراني البسيط التي أعطت انطباعاً بالاناقة وقد أمتلأت الجدران بمزيد من اللوحات. وسط كل هذا

كان الرجل هو الذي أستحوذ على انتباه جون وقد نلّاشي كل ما عده
وهو ينهض من مقعده وقراعه ممدودان.

«جون، إبنتي ..»

كان صوته متفعلاً، وانجذبت نحوه كأنها في حلم كان هذا هو الرجل
الذي حلمت به ولم تتحيل أنها ستراه. كان أكبر مما كانت تظن
ذاكرتها، لكن جون ريتشي كان رجلاً وسيماً، وكان شعره الداكن
الذي يتخلله لون رمادي باهت ممتطاً إلى الخلف كاشفاً عن جبين
عريض، كانت عيانه تشبهان كثيراً عيني ابنته، حورتين، ملينتين
بالحزن.

«أبي، أبي ..»

«جون، طفلي بعد كل تلك السنوات»

تعلق كل منهما بالآخر في صمت ثم أبعدهما في رفق.

«عيسى، أتأملك. أيا لا اصدق أنك انت ابنتي حقاً»

«نعم أنا ابنتك. وعدي الكثير مما يجب أن تطلع عليه»

«لا، ليس الآن لست لي ما يكفي يا جون في رسالتك. لست في حاجة
إلى أن تقول لي شيئاً عن شخصية دورتي. أين ميفان؟»

عادت ميفان وهي تهتسم.

«سمحت لي إيلين أن أحضر لكما هذا بنفسى. ستحضر هي بعض
الكعك»

استطردت ميفان وهم يتناولون القهوة.

هراًياً غابن في المطار لم أكن أعلم أنه سيكون على الطائرة نفسها
مع جون»

رفع جون ريتشي، حاجبيه في دهشة،

«ولا أنا أيضاً. غريب أنه لم يذكر ذلك عندما كان عندي أمس»

نظر آل جون مستائلاً،

«ما رأيك فيه؟»

وكيل أن ترد جون انتفعت ميفان ضاحكة:

«أخشى يا جون أن تكون جون قد أخذت انطباعاً سيئاً عنه. حدث
مشهد صاخب في مطار جانر ويبدو أنه كان هو المتسبب فيه»

ابتسم جون ريتشي وقال:

«أه فهمت، يمكن أن يكون مخيفاً إذا كان في إحدى نوبات طبيعه
الحادة. لا بأس غداً تعرفه تماماً عندما تتعرف اليه. أنا متأكد من ذلك.

والآن أخبريني يا جون ما رأيك في سارامتك؟ أهى كما تصورتها»

تفتت جون الصعداء وراحت تروي لابهها ما شاهدته.

دخلت إيلين، وكانت امرأة ملونة ضخمة، وهي تحمل صحناً كبيراً
مليئاً بالكعك والنشائيز. قدتها جون ريتشي ليجن وكان من الواضح
أنه يحمل لها الكثير من التقدير. وعندما غادرت العرفة نظرت ميفان
إلى ساعتها وقالت:

«يجب أن أذهب الآن إلى اللقاء. سأمر غداً لأراكما»

«أنا ميفان صديقة طيبة، وكذلك ابنتها كولين ستكون هذه أجازة
طيبة لك وسأبذل كل ما لي رسمي لأجعلها كذلك»

«يكفي إنني هنا لم التحيل لحظة أن ذلك سيحقق»

أصمك جون ريتشي يهدئها وللال:

«لن نأسف على ما فات ان المستقبل هو كل ما يجب أن نركز فيه الآن

أريدك أن تفكري بجدية في البقاء معي، أن تجعلي من هذا المكان بيتاً لك كان لكلماته وقع غريب على جين.

«أنا - أنا»

«لا ليس الآن. أنا لا أريدك أن تقولي شيئاً الآن. أنا رجل ثري باجين. لقد كنت محظوظاً وليس لي من أشاركه ذلك سواك. لكن القرار هو قرارك. وأنا لست مستعجلاً أشعر أنني صبرت عشر سنوات بعد أن رأيتك. إنك تشبهين أمك كثيراً».

«توقف برهة ثم استطرد.

«لدي الكثير لأخبره لك - ولكن ليس الآن. سأستدعي إلين لتريك غرفتك استغرقت في إعدادها أياماً عدة».

ابتسمت جين وقد بدأ عليها الاعياء، ثم تذكرت شيئاً فقالت: «رأيت آلة غيتار في البهو أعترف على الغيتار».

لمعت عيناه قائلاً:

«كنت معتاداً على ذلك في الماضي. لا تقولي لي إنك تعزفين الغيتار أيضاً».

«نعم، تعلمت ذلك في المدرسة. كنت أود أن أحضر غيتاري معي لكنني لم أستطع نظراً للوزن المسموح به للأمتعة».

ضحك والدها وقال:

«هذا رائع! جين تلعب الغيتار. لا أصدق ذلك. أتدريين أنه كان أول آلة أتعلم. أعزف عليها والآلة الوحيدة كذلك. عذيني أن تسمحيني بعض الموسيقى غداً».

وأعدك بذلك».

إنحت جين لتقبله في الوقت الذي دخلت إلين تطلق بخفيها على أرضية الحجرة البراقة وقالت لها:

«إنك في حاجة إلى أن تنامي قليلاً، وغرفتك معدة تعالي معي».

عندما استيقظت جين كان الظلام عميقاً وكانت الغرفة باردة أحست بالموجع فجأة. ففرت من سريرها، ليست خلا من الفرو وتدفرت جيداً ثم ذهبت إلى الحمام.

رأت ضوءاً منبعثاً من الطين الاسفل، وبعد تردد، نزلت في هدوء كانت تأمل أن تهد شيئاً لتأكله سارت عبر البهو حيث كان ضوؤها يتسطع على الغيتار وعلى اللوحات. توقفت جين أمام أحدها، وقد نسيت جوعها وهي تصدق في الألوان الزاهية في لوحة صياد يقف في جوار وورقه كانت لوحة بالألوان الزيتية بدت أكثر إثارة وغموضاً تحت الضوء الخافت خيل إلى جين أنها شاهدت اللوحة من قبل ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟

أحست بالحيرة، واستأنفت في هدوء يشدها ذلك الوهج الدافئ المنبعث من مصباح في غرفة تقع في نهاية الممر، دفعت الباب لتجد نفسها في المطبخ.

أنت إلين بحركة خفيفة في مئذنها المراز ثم لتحت عينها وابتسمت لجين قائلة:

«أنت جائعة أليس كذلك؟»

«نعم. أنا أسفة يا إلين إذا كنت أزعجتك».

«لا باطعني. لقد كنت أريح عيني فقط كنت أعلم أنك ستستيقظين في هذا الوقت الجميع يفعلون ذلك بعد رحلة طويلة إجلسي. هناك

بعض الدجاج ساحضه لك »

«شكرا يا إيلين. رأيت منذ قليل لوحة زيتية في البهو هل احضر أبي

معها العديد من الرسوم عندما جاء الى هنا ؟»

«ماذا ؟ أنها ملكه. أعني انه هو الذي رسمها. ألم تعرفي ذلك ؟»

«كانت دهشتها تعادل دهشة جين نفسها.

«أتعنين أن أبي رسام؟ هذا غير معقول.»

«نعم انه كذلك بل انه اهم رسام هو يبيع لوحاته في مختلف أنحاء

العالم. أحمقاً لا تعرفين؟»

هزت جين رأسها وهي مذهولة. أن هناك الكثير لاتعرفه. بل

لايمكن لها أن تتخيله وقد بدأت الأشياء الآن تنتظم في شكل محدد

«لم أعلم شيئاً عن أبي. لم أعلم شيئاً على الاطلاق يا إيلين ، الى أن

اكتشفت رسائله ورددت عليها.»

«أصدقك يا طفلي. لاتضطربي هكذا. أبي فخورة بأنني أعمل لدى

والدك. لقد حضر خبراء من شتى أنحاء العالم الى هنا ليروا اللوحات

ويبتاعوها. ألم تشاهدي أياً منها من قبل؟»

هزت جين رأسها في ذهول:

«لأعلم لكن اللوحة التي في البهو، لوحة الصيد والزورق، تبدو

مألوفة لي.»

«قد تذكرين شاهدها في الصحف. فقد جاء الى هنا في العام الماضي

مراسلو عدد من المجلات والبنطوا صوراً لأعمال أبيك. إن اسم

أوغستاس ريتشي معروف في العالم كله.»

هستت جين قائلة :

«أوغستاس أوغستاس بالطبع كم كنت حقاً؟»

لقد رأت طبعات لرسومه الحية لبعض الجور. مناظر طبيعية زاهية

الألوان ذات أسلوب مميز ألحق عليه الخبراء صلة البدائية. وإستوف

نظرها إسم ريتشي أيضاً. لكن هذا هو كل ما حدث لم تكن

لتتخيل أن أباه هو الذي رسمها.

«بالطبع، إسمه جون لكن اسمه الآخر أوغستاس وهو يعني

الشخص ذا المكانة الرفيعة.»

تهدت إيلين. كان وجهها ترتسم عليه الطيبة وهي تطفلق فوق

أرضية المطبخ لتضع الطبق أمام جين.

«لديك الكثير لتعرفيه عن أبيك، أليس كذلك؟ إنه سعيد بمجيئك،

يمكنني أن أرى ذلك وقد سررت لذلك أنا أيضاً.»

«أشكرك يا إيلين.»

إبتسمت جين قائلة، وهي تحس بهاطفة مفاجئة نحو هذه المرأة

«أنا لا أشعر بالعاس. هل استطيع ان أخرج لأتخلى في الحديقة؟»

«بالطبع يا حلوتي. لا لصوص هنا في سارايسكا. ولكن هل أنت

متأكدة من انك ستخرجين في هذا الوقت المتأخر.»

«متأكدة طبعاً. ولأ فلن استطيع النوم.»

«سأحضر لك مشعلاً، فوالدك لن يسامحني اذا تعثرت وأصبحت عديني

ألا تبغدي كثيراً عن المنزل؟»

«أعندك يا إيلين. أريد فقط بعض الهواء النقي.»

«اذن أصعدى حالا وارندي معطفاً فوق قميص النوم فالجو بارد في

الحارج سأحضر لك المشعل.»

ركضت جين سعيدة الى الطابق الاعلى. فكرت أن تسير عبر ذلك
الممر لتصل الى الطريق ثم تعود. ان ذلك سيساعدها في تخفيف وقع
الأنباء المتراكمة عليها.

إنبعث صوت الحصى المطحون تحت قدميها ولفتها رائحة أزهار
خفيفة. كان الجو بارداً، وشعرت بالسعادة لأنها تذررت بالمعطف. لمسكه
بالمشعل. وقفت قليلاً في الظلال السوداء بعيداً عن المنزل حتى تعناد
عينها على الظلام.

كان الليل هادئاً والسماء مرصعة بالنجوم تتلألأ على مدى أبعاد
لانهائية. كان الاشعاع الخافت المنبعث من القمر يعطيها ضوءاً كافياً
لترى طريقها.

تنفست جين في عمق وأحست بسعادة مطلقة تجتاحها. لم يكن
هناك خطأ في تصرفها. قطعت آلاف الاميال لتصل الى هنا واختفت
تماماً كل المخاوف والآلام. إن والدها يريد هذا. وهذا هو كل ما يهم.
سارت ببطء وحرص، وكأنها تخشى أن تخدش السكبنة المسيطرة، ثم
مالبت أن سمعت نباحاً رهيباً وصوتاً يصرخ:

«كارلو، قف مكانك.»

خمد الكلب وهو يئن أنيناً خافتاً ورفد تحت قدمي جين. أخذت
تبحث عن زر المشعل ثم أضاءته لتجد غائن غرائث يتقدم نحوها
في خطى واسعة.

٢ - اللقاء

هل اربعبك الكلب؟ لا تخافي فهو لن يؤذيك
كان قلب جين يخفق بسرعة وهي تواجه الرجل الضخم الذي
كرهته من النظرة الاولى:

«هل يقفز هكذا دائماً في وجه الناس؟»
«لا، انه لا يفعل ذلك. لكنه أيضاً لا يرى عادة أي شخص في هذه
الساعة المتأخرة من الليل.»

كان صوته هادئاً، وكان يمكن أن تجده جذاباً ولكن بسبب ما حدث،
أحست جين بكبانها كله ينفر من الرجل.
قالت وقد استدارت عائدة الى منزل أبيها.

«عل أن استأذنك قبل أن أمتشي في الليل ثانية.»
«أتقطين هنا؟»

«نعم، طابت ليلتك.»
«إذا، أنت ابنة جون؟»
استدارت نحوه. وقالت:

«نعم أنا إنسته»

كانت جين ترعيف لكنها كانت واثقة أنها اذا استمرت تتحدث الى الرجل فانها ستقول شيئاً تأسف عليه لم تكن تعلم سبب التأثير العريب لذلك الرجل عليها ولكنها كانت تعرف تماماً أنها لم تلتق من قبل شخصاً آخر يستطيع أن يثير فيها مشاعر العطب مثل هذا راعها بل أفزعها أن تكتشف أنها وهي المادونة المتساهلة، فائرة على الاحساس بمثل تلك الكراهية.

«أنا غافن غرائت» . جاز أبوك يا أنسة . ريتشي . امل أن يلتقي ثانية في مناسبات أفضل من هذه هل أصبحك الى المنزل؟
«لا شكراً» . يمكنني أن أتدبر الامر ما دعت قد اهدت عليك» .

إسداوت جين وسارت في اتجاه باب المزل . وخيل اليها أنها سمعت صدى هائلاً لكلماته لقد كان هناك شيء آخر في صوته غير ذلك الاحساس بالدهشة . كان هناك خبط دقيق من الاحتفال . وأحسّت جين ركان وجهها يشتعل وسط الظلمة الباردة كيف يجرؤ أن يتحدث اليها هكذا؟

استعرفت جين في اليوم حتى ساعة متأخرة من النهار بهفت وزلت بسرعة الى الطابق الاسفل يخامرها شعور بالذنب لتأخرها متلهفة في الوقت نفسه الى لقاء أبيها وعندما إقتربت من غرفة الجلوس اللسيحة توقفت عند سماع أصوات في الداخل . ان لديه وراة أصلاحت حين من شعرها كانت ترتدي ثوباً بسيطاً حاكته بنفسها من العطر الأورقي بلا أكمام ودعت جين أمام الباب في توتر ثم طرفته ودلّت الى الداخل.

استقبلها أبوها بدواعين محدودتين قائلاً:

«جين يا عزيزتي» . اطلعت على تفاصيل مغامرتك »

أبنت جين دون أن تلتفت أن الرجل الواقف أمام المقعد المجاهد لأبيها لم يكن سوى غافن غرائت .
«طاب صباحك يا أنسة» .

التفت جين تجاهه وظلت تحسكه بهدي والدها.

«طاب صباحك يا سيد غرائت » .

كانت تلك هي المرة الأولى التي تراه فيها بوضوح . وأت عيبه وملايين تضعصاتها بهدوء كان وجهه صارماً وذقه مريضة متجبهة بعنق الى الأسفل شعره الداكن الأملس الذي كان يعلو جبهته يتساقط جيد كان أطول قليلاً من المعتاد أما فمه كان واسعاً فيه لمسة قسوة مدّ لها يده عجباً فأمسكت جين بها على مضض وأحسّت بعوضته القوية حدثتها غريزتها بأنه رجل قوي خطير وأن هناك كراهية مقنعة من جايه تجاهها تثير قلقها وحيرتها في ان.

قال أبوها وهو يضغط على يدها:

«لندع الرسومات جانباً أليس جميلة يا غافن؟»

أخني غافن غرائت رأسه قليلاً بقدر من الانفعال:

«بالطبع جئت لأعترف عما حدث بالأمس» . يا جين» .

«ليس هناك داع للاعتذار» . فكل شيء على ما يرام» .

جلست جين تستمع الى حديث الرجلين وهي تشعر بأنها تريد مغادرة المكان لقد سيطر غافن على الجو كانت تشعر بعينيه مثبتتين عليها حتى من دون أن تنظر اليه . وأحسّت بغصة كان في الثلاثينات

من عمره، ذا مظهر قوي يوحى بأن لديه القوة الكامنة لسحقها إذا أراد ذلك وبعد جهد فشكت جين عن أن تقول، منتهزة فرصة من الصمت

«سأذهب لأتاول فطوري يا أبي فاما لا أحب أن أدع إلين تنتظر فاسمعي لي.»

وقفت واتجهت صوب الباب، متحرك غافن ليفتح لما الباب «شكراً»

تبدلاً النظرات، كان هناك ذلك الاحساس العدائي، ورغم أنه كان متعباً بصورة بارعة، إلا أنه كان واضحاً تماماً لجين وتضايقته. لماذا يكرهها؟ ليس لديه أي مبرر لذلك. اتجهت جين ناحية المطبخ وهي تشعر بالقلق لتطور الأحداث.

يبدو أنها سميت كل شيء الآن وهي تسير ببطء مع أبيها في الحدائق الشاسعة المحيطة بالفيلا وسمعت هدير البحر، فاستدارت نحو أبيها وقالت:

«لم أعلم أننا قريبون من البحر إلى هذا الحد»

«للأسف أننا لا نراه من المنزل، ولكن ليس في وسع المرء أن يمتلك كل شيء. إن غافن يقيم أحياناً حفلات على شاطئ البحر ليريد أن ادبل بعض الملاحظات في هذا الصدد»

«لا توجهها إلي أرجوك، فليس لي شأن في هذه الأمور»

«هل انهم من ذلك إن هناك بعض الفتور بينكما»

«أنا أسفة يا أبي، لم أقصد ذلك»

«لا تكوبي عصبية إلى هذا الحد فقد كنت أمرل معك فقط أنا أعرف

تماماً أنه مستبد إلى حد ما. لكنك ستجديته شخصاً رائعاً عندما تزاد معرفتك به.»

كان واضحاً أن والدها معجب بغافن غرائز فهو جاره وصديقه أيضاً، أما هي التي وصلت بالأمس فهي مجرد دخيلة. كيف يمكنها أن تتجراً وتقول إنها تجلده متعجباً للعابة وإنما لن تنسى أبداً تصرفه في المظلم

ابتسمت وقالت:

«أنا واثقة من أنه لطيف للغاية. كنت بلهاء. أرجوك دعنا ننسى ذلك. أريد أن أعرف الكثير عنك. لماذا لم تنشر إلى لوحاتك في رسالتك إلي؟»

تهجد جون وقال:

«هروت لي إلين ما دار من حديث بينكما أمس. أما لم أشر إلى ذلك لأنني أردت أن تحضري لرؤية والدك، وليس لرؤية رسام سخيف»

«كنت سأحضر في كل الأحوال»

جلس جون و جين في أريكة تحت ظل نخلة طويلة، صدر حقيقاً كان الهواء مثقلاً برائحة نبات الياسمين الثيري، كل شيء فيه لمسة جمال زاهية فأحست جين بالراحة وقالت:

«ما تخيلت أن يكون كل شيء رائعاً هنا...»

وفجأة غيَّرت مجرى الحديث وقالت:

«لم أكتشف أنك كنت تراسلني إلا منذ شهر فقط»

«كنت أعرف أن دورثي تذكرني لكنني لم أكن اتصور أبداً أنها

ستخط إلى هذا الحد وعندما كتبت إلى»

«هل كتبت إليك؟»

«نعم لا تقول لي أن ذلك كان دون علمك»

«متى كان ذلك قانا لا أعلم شيئاً»

«منذ حوالي عامين عندما استقر بي المقام هنا كتبت لطفاليني بأن أكف عن إزعاجك وانك لا تريدني سماع أي شيء يتعلق بي وأنني أصبح وقتي هباء في الكتابة إليك»

ارتعشت شفتا جين وهي تقول:

«لا - لا لكنك وأصليت الكتابة بعد ذلك»

«لم يكن أمامي حل آخر فكرت أنك في يوم ما ستصعبين عن انكسر عجز»

قالت والمصرع في عينها

«لا تقل ذلك أرجوك أنا لا أفهم يا أبي لماذا كانت تفعل ذلك. وربما لن أفهم أبداً. ولكنني أسمع أنني كتبت سأكتب ولو وصلتني رسالة واحدة منك»

«أعلم ذلك الآن يا طفلي دعيني أقول لك شيئاً آخر قبل أن تنهي هذا الموضوع عندما تركت أمك. كان ذلك لأنها طلبت مني أن أرحل. لقد أحببتها لكنني أدرك الآن بعد ما فكرت في الأمر طوال تلك السنوات أن دورتي هي التي انارنها هدياً لها بشكل ما المنسية في انفسائنا وأنا أعلم الآن لماذا فعلت ذلك»

تساءلت جين ببطء:

«هل كانت تحبك؟»

«نعم. أتصور ذلك النفي منذ عشرين سنة في سانت إيف. أثناء العطلة الصيفية كنت في الخامسة والثلاثين من عمري وكنت فعياً

أحاول أن أمارس هواية الرسم لكنني لم أكن قد حققت شيئاً بعد. ثم التقيت دورتي وشقيقتها كانت دورتي في الثلاثين من عمرها وكانت والدتك نصرها بحسن سوات. تعارفا وأحياناً يتبادل أطراف الحديث كما يفعل الناس عادة في عطلاتهم. كانت دورتي هي الأخت المسيطرة أما لوسي والدك فقط شدتني كثيراً. خرجنا معاً عدة مرات. أحياناً مع دورتي. وأحياناً أخرى بدونها إذا تمكنا من ذلك. أعقد أنها ظنت أنه من الطبيعي أن أربح فيها ما دامت هي الأقرب إلي سناً وعندما طلبت من والدك أن تتزوجني كنت صريحاً معها. قلت لها اني سأبحث عن عمل لكن الرسم هو طموحي الكبير وثقمت أملك ذلك بعكس دورتي»

استطرد مبدعاً أمامه في لا شيء. وكأنه يعيش الماضي من جديد «كان صرل الأختة كبيراً يكفي لعدة أسر. والأختان كانا تغطيان فيه وحدهما منذ وفاة جدك فكان من الطبيعي أن نعيش أنا و لوسي في المنزل نفسه بعد زواجنا قسمنا المنزل في الواقع إلى قسمين في هادى. الأخت عشت في سعادة مع لوسي»

توقف عن الكلام وقد شاعت في عينيه نظرة ألم. ثم قال «بدأت دورتي في إثارة المتاعب كانت لوسي تنتظر مولودها الأول - وربما آثاره غيرة دورتي لأنها أدركت أن فرص زواجها لتخذ مع مرور السنين بعد مولدك تحسن الوضع قليلاً. لقد شغلت لوسي بك وعندما كبرت وقعت أملك أكثر فأكثر تحت تأثير دورتي. لقد كنت خارج المنزل معظم الوقت حيث كنت أعمل كرسام في إحدى شركات الاعلان ولم يكن أمامي إلا أن أمارس هواية الرسم أثناء

عطاشي الاسبوعية. وهكذا كان لدى دورشي كل الوقت لتؤثر على والدتك، نجحت في ذلك. في يادى، الأمر كانت تستثيرها بتوافه الأمور، انه يقول انه يعمل حتى وقت متأخر في المكتب، لكن جميعهم يقولون هذا، أليس كذلك؟ ثم بدأت تقول لها انه يفكر في عمله أكثر مما يفكر فيك - وهكذا باتت لوسي تشكك في تصرفاتي وعندما كنت في السادسة من عمرك، دب شجار بيننا في أحد الأيام ووصل الى سمك. ووجدتني محطاً وأما أرى وجهك لأنني كنت أعرف تماماً تأثير ما يحدث. طلبت من لوسي أن ترحل لتعيش ثلاثتنا في منزل مستقل لكنها طلبت مني أن أرحل بمفردي.

ثم اتكأ برأسه على يديه في تأثير عميق، واستطرد بصوت هادئ: «وهكذا رحلت».

طوفته جين بذراعها قائلة:

«كفى يا أبي».

سارا في بطء عاتدين الى المنزل. كانت جين تعرف أن الانفصاح عن الحقيقة تقع وأكسبه راحة البال.

في أمسية ذلك اليوم اطلعها جون على سيارته التي ظلت دون استخدام طوال ستة أشهر. كانت من طراز فورد تاوس لونها أزرق فضي. ويادها منسائلاً

«هل تعرفين قيادة السيارة يا جين؟»

هزت رأسها نقياً.

«أتحبين أن تتعلمي؟»

«لا أفري، أعتقد ذلك، لكنني لم أحاول».

«سأطلب من غافن أن يعلمك».

وعندما لاحظت فاعلها قال

«أه لا بأس هناك ميفان أو ابنها كولن أنا واثق أنه سيسعد بذلك».

في تلك الأمسية. وبعد أن تلووا العشاء، جلست جين مع والدها يتجاذبان أطراف الحديث، يادها جون «أذهبي واحضري الغيتار وعدتني بأن تعزني لي».

أحضرت الغيتار وجلست القرفصاء على أرض الحجر الخشبي اللامع. داعبت أوتار الغيتار بطريقة مرتجلة لعدة دقائق ثم بدأت إحدى أغانيها المفضلة بدأت تعني دون خجل بعد أن التقطت نغمت ذلك اللحن المزين.

لم تكن تدرك كم كال منظرها هائلاً وهي تجلس على أرض الحجر وقد استرسل شعرها الأسود الداكن في تحرر - وانكب وجهها على الآلة الموسيقية، تحتضها بلطف. نسيت نفسها في عالم تحبه، عالم الألمان. أخذ والدها يرقبها مأخوذاً وهو يستمع الى صوتها الحلو الواضح النقي وإلى النغمات التي تتناثر في جنح الليل.

وفجأة جاء صوت من ناحية النافذة ودخل غافن غرائت الغرفة وقد ثبت عيني على جين وقال بصوت هادئ:

«كان هذا رائعاً».

جذبت نفسها بشقة، وقهرت وقد استعادت وعيها فجأة. استدأر

جون قائلاً

«أوه غافن منذ متى وأنت هنا؟»

«كنت على وشك أن أطرق الباب حين سمعت العتار تصوت أنك
أنت يا جون الذي تعزف، ولذا فعد لتجهت الى الواجهة الخلفية
لأستمع في صمتي»

واستدار نحو جين قائلاً:

«أهنتك فأنت تعزفين جيداً»

«شكراً»

ونظرت اليه لتحاول إيجاد أي أثر للمسحورية في مبراته ولكنه بدا
صادقاً.

«اني أحمل دعوة يا جون من سارة ووالدتها»

رفع جون حاجبيه في دهشة فضحك غافس وقال

«مستقيان حفلة يوم السبت وتتمنيان لو أنك تحضر مع جين»

نظر جون الى ابنته متسائلاً

«ما رأيك يا جين؟»

تذكرت جين فجأة كلمات ميعان أمس عن حرص ليوني و
سارة على رؤيتها خاصة وأن سارة التي تسعى وراء غافس لا
ترغب في أية صانسة. كيحت جين ابتسامتها وهي تقول لنفسها إن
هذا الأمر ممل. لينها تعلن أن لها لا تشكل عليها أي خطر فالكراهية
متبادلة برغم أنه بدا ظريفاً عندما امتدح عزفها على العتار
وقعت جين رأسها عن العتار قائلة:

«إن هذا يبدو ظريفاً للغاية»

التفت غافس اليها ترى هل استطاع أن يقرأ أفكارها؟ إن لديه
نظرة رمادية ذكية ناعية. وأدركت جين فجأة أن عبيه جدايتان

للغاية. قال:

«سأبلغها بموافقتكما على الذهاب وستذهبان في سيارتي. والآن وقد
اتفقنا، اسمحا لي بالذهاب»

«يجب أن تشرب شيئاً»

أحضرت جين المرطبات ثم جلست. رفع غافس حاجبه
متسائلاً

«ألا تشربين معاً؟»

«لا شكراً»

رفع غافس كأسه قائلاً

«في صحتكما»

في تلك اللحظة دخلت إليهم المحبرة قائلة

«جاءت السيدة ديفز باسيد رينشي»

دخلت ميفان، ومعها شاب طويل وسيم أشقر لا يمكن أن يكون
إلا ابنتها نظراً للشابه الكبير بينهما

قامت ميفان بمهمة التعارف بينهما، احتفظ كولن بيد جين
لفترة أطول من اللازم ثم ابتسم قائلاً

«مرحباً يا جين»

«أهلاً بك يا كولن»

أحست بتورده وحشيتها خجلاً. ترك كولن يدها على مضض
واستدار نحو غافس الذي أحست جين أنه كان يرقبها وقد علت

شفتيه بسمة ساخرة»

«معناه الخير يا غافس، لم أرك من قبل»

«لاحظت ذلك.»

كانت نيرة غافن جافة أحست بالدماء تصعد الى وجهها. كيف
يجري على مراقبتها. حدثت جين نفسها بذلك مضيفة نقطة جديدة
الى أخطاء ذلك الرجل. استطرد غافن:
«مؤرقاً عليّ جهداً لقد طلبت ليوني مني أن أدعوكما الى حفلتها يوم
البت.»

نظر كولن الى جين متصائلاً:

«هل ستذهبن؟»

«نعم سأذهب.»

«أبرافك هذا يا أمي.»

ابتسمت ميعان للجميع قائلة:

«بالطبع. ستكون مناسبة شيقة للغاية.»

جلس الرجال الثلاثة معاً وجلست ميعان و جين في مقعدين
متلاصقين وبذلك تمكنتا من تبادل أطراف الحديث دون أن يسمعها
أحد. قالت ميعان بصوت متخلف:
«أذكركين يا جين ما قلته لك؟»

«نعم أذكر.»

«هل لي أن أعطيك نصيحة؟»

«بكل تأكيد أوجهلك.»

«استمعي جيداً الذين سيحضرون الحفلة سيكونون غابة في القثنة
والانالة. وأنا واثقة من أنك ستستمعين بتلك الأمسية ولكنها لن
تكون مجرد حفلة. انها ستكون جلسة تقييم أنا أسفة أن أقول ذلك

بطريقة لجة ولكن دعيا تصعد الى حجرتك لاتقاء ما يمكن أن ترتديه
في تلك الحفلة.»

قالت الجملة الأخيرة بصوت مرتفع كبير لانسدادها. وفي غرفة
جين في الطابق الأعلى خلعت ميعان حذاءها وجلست على حالة
السرير قائلة:
«وآه هكذا أفضل.»

بدأت تضحك بصوت جذاب ثم نظرت الى جين وهي مستغرقة
في التفكير ثم قالت:
«أعتقد أننا سنسجم معاً.»

وتحدثن بشكل يرحي بأنك ما كنت تتوقعين ذلك.»

عكست نيرة جين حيرتها فهناك شيء لم تفهمه في قول ميعان.
هزت ميعان رأسها وقد شعرت بالضييق:
«أنا أسفة. لقد أوقفتني عند حتمي.»

استطردت جين بلهفة:

«لا تعتلري، فانت على حق سأقول لك شيئاً الآن.»

«أنا دائماً أعترف بخطأي ولد ارتكبت خطأ في حقك دون قصد.»
انتظرت جين في صمت. فقد أدركت أن كلماتها غير المتعصدة
فجرت شيئاً سيئاً لها ما كان يحيرها إزاء عدة أشياء.

أخلفت ميعان عينيها ثم استطردت:

«عندما أبلغنا أبوك أنك ستأتين بعد كل تلك السنوات اعتقدنا كلنا
أنك جئت من أجل ان..»

ترددت قليلاً فاستحسنتها جين:

«استمري ارجوك»

«طلب أنك جئت فقط بعد أن عرفت أن أبناك رجل ثري ولذلك فقد انتهت لتأخذي كل ما يمكن أن تحصل عليه اعتدنا بأنك تخيلت أبناك كل هذه المدة. والآن بعد أن مرض وتوقف عن الرسم الأمر الذي زاد بصورة تدريجية من قيمة لوحاته، قررت المصور ولذلك استعريت كثيراً عندما تمكنتك الدهشة لدى رؤيتك مرسل أبناك عرفت من وجهك أنك كنت صادقة وحيي ذلك بدأت أفكر في أننا كنا على خطأ»

جلست جين في صمت، كان هناك شيء آخر يجب أن تعرفه فأردفت:

«مبعاني لقد استخدمت عبارة كنا نحن انتم؟»

«كلنا يعني أنا وغافن»

«أذن هذا هو السبب»

«السبب في مصادا»

استدارت جين وقالت:

«عندما التقيت غافن، بدا وكأنه يكرهني لم أعرف لماذا يحمل لي هذا الشعور وتصورت أنه كذلك مع الجميع ولكني الآن فهمت. يظنني أسعى وراء المال وكل ما أستطيع أن أحصل عليه. سأخبرك كل شيء»

وبدأت جين تروي القصة كلها وكيف اكتشفت وجود أبيها مصادفة وتقول حالتها دورني أن أبناها يسكن في كوخ على الشاطئ»

عندما أنهت جين قصتها ساد صمت مطبق، وأخيراً قالت:

«وجه الآخر للكتاب»

٤٠

ميفان:

«يا طفلي الصغيرة المسكينة، ماذا استطعت أن أفعل؟»

«لا تمولي شيئاً أردت أن تعرفي كل شيء كي لا أخطئي في حكمك»

علي»

«أوه يا عزيزتي، عندما أخبر غافن بالحقيقة فإنه...»

قاطعتها جين

«لا، لا أريدك أن تخبريه»

«لكن لماذا؟»

«لأنني أخشعه أنه يتصور أنني أسعى وراء المال لن دعيه يستمر في هذا التصور أما لا أهتم برأيه فهو متعجب مستبد - وأنا لا أظن أنني كرهت شخصاً قدر كرهني له في حياتي أما أعرف أنه صديق أبي ولهذا السبب فقط سأحاول أن أكون مهيبة معه، عشت ست سنوات مع حالة تشبه إلى حد كبير وتحمّلها طوال ست سنوات وفي وسعي أن أحمل ذلك الرجل غافن غرات إلى حين فإذا لم يتعلم كيف يحكم على الناس بما يتفق مع طبيعتهم وليس كما يراهم هو، فإنه بالنسبة إلي شخص لا يستحق المعرفة»

تبدلت المراتل النظرات كان في عيني جين تحد شجاع لم يكن في مظهر ميفان إلا أن تعجب به، ابتسمت ببطء فائقة وهي تثلث في أرجاء الغرفة

«جئت أصلاً لتحدث عن الحفلة»

ضحكت جين قائلة:

«إن هذا سيد الان مصطنعاً ألم تكوس تشوين لتحديري من أن

سارة تعتبرني منافسة لها. ان هذا لا يمكن أن ينطبق علي بعد كل ما قلناه»

«ليس هذا هو كل ما أود أن أقوله. ان سارة برغم سحرها وجمالها ستحاول ببراعة أن تجعلك تبدين كابلها. وهي ستستخدم لذلك اسلوبين. إما أنها ستتنصل بك تليفونياً قبل يوم السبت وتطلب منك ألا ترتدي أي شيء نفيس مؤكدة أن أي ثوب بسيط يكفي، أو أنها لن تهذرك على الإطلاق وفي تلك الحالة ستذهبن وقد ارتديت أفضل ما عندك في حين أن باقي المدعووات ترتدين ثياباً صباحية بسيطة لشجدين نفسك في زي شاذ»

«يا للعجب، كم هم أناس ظرفاء...»

ابتسمت ميفان قائلة:

«فعلت ذلك من قبل، ولكن في هذه المرة لن تكوني وحدك. سأقف الى جانبك. الذيلك ثوب ظريف لترتديه؟»

«ليس تماماً. لحذيتي دورني لم يكن بوسعها أن توفر لي شيئاً ممتازاً. ومن جانبي فقد أنهيت منذ قليل دراستي المتوسطة»

«أعتقد أننا يجب أن نبحث الأمر مع والدك فهناك محل مجاري كبير في بورت باتريك هو ملك لغانن بالطبع ويمكننا أن نجد فيه الكثير ان غانن يملك المحل التجاري الكبير والوحيد في سارامانكا وبالنسبة هو يملك أيضاً المندقين الوحيدين فيها انها يقدران بشرة. فوالده هو في الواقع الذي وضع سارامانكا على خريطة العالم. وهذا هو السبب الذي يجعل سارة تبذل كل هذا الجهد من أجله ذهني أسألك هل ستحاولين تلقين غانن درساً؟»

«لا، بحق السماء»

«حسنًا. فانا كنت سأحذرك من ذلك. فهو صلب للغاية وفي وسعه أن يكون قاسياً وأي شخص دخل معه في صراع يمكنه أن يقول لك ذلك.»

ولكن هل ان ما قالته لميفان صحيح؟ لم تكن جين تعرف بالضبط كيف ستتصرف ازاء غانن وشعرت بما يشبه الدوار وهي متجهة الى غرفتها تزدحم في رأسها آلاف الأفكار

٣ - الدعوة

كان اليوم التالي يوم جمعة. ابلغت إلن جين ان هناك من يريد لها على التليفون ولما انقطعت الساعة سمعت سارة تقول: «أهلاً بك يا جين . أنا وأمي نشكرك لقبولك دعوتنا ونشوق الى رؤيتك، فالحياة هنا يشوبها بعض الملل لذا فمن الممتع أن نرى وجهاً جديداً. اتصلت بك في الواقع لأبلغك ألا تشغلي نفسك بما سترددينه غداً. فالحفلة غير رسمية. ألا تظنين أن هذا سيكون أفضل؟»

وفكرت جين بتحذير ميفان . لم تصدق أن الخداع يصل بالبشر الى هذا الحد. ربما تكون سارة. تلك المخلوقة العذبة الصوت عبر التليفون. مناسبة جداً لغافن . فهما من نوع واحد.

أنهت جين المكالمة وهي شاردة الذهن ثم باحرت بالاتصال بميفان واطلعتها على اتصال سارة .

تذكرت جين شيئاً وهي تنتظر وصول ميفان . لقد قام غافن بإبلاغ تلك الدعوة مساء أمس. فهل اتصل تليفونياً بسارة لإبلاغها أم أنه ذهب بنفسه لرؤية سارة . لم يكن الأمر مهماً.

وبرغم ذلك وجدت جين نفسها تفكر فيه.

بعد نصف ساعة فقط كانت جين وميفان تعبران طريق فسيح يؤدي الى الطرف الآخر من الجزيرة. كانت ميفان تبدو نظيرة جذابة وهي ترتدي سترة بيضاء بلا أكمام فوق بنطلون أزرق بينما شدت شعرها الى الخلف يوشاح من القماش الخفيف أما جين فقد ارتدت ثوباً تقليدياً من الترلين الأزرق الذي كان خفيفاً بالنسبة لجو انكلترا. أما هنا فهو يشيع فيها الدفء بدرجة غير مريحة تحت حرارة شمس الصباح. لاحظت ميفان ذلك فقالت:

«الأقمشة الصناعية لا تلائم جو سارامتكا. الفطن أفضل. وقد أعطانا والدك حرية التصرف ولذا سنشتري ما يناسبك في هذا الجو الحار»

«أنا أشعر بالذنب لأنني أنفق من حسابي الخاص. سأحرص على ألا أنفق كثيراً»

«قال لي أن تشتري كل ما تطلبين. إنه سعيد بهذه الفرصة. صدقيه يا جين»

وأحست جين بدفقة من السعادة لم يكن حتى التفكير في غافن قادراً على افسادها. أنها ذاهبتان الى المحل الذي يملكه. لكن ميفان أكدت انه لا يوجد احتمال في لقائه. أضافت ميفان وكأنها تذكرت شيئاً:

«كولن قال لي انه سيحاول ان يلقانا في المطعم الملحق بالمحل لتتناول القهوة. إنه مأخوذ بك ألم تلاحظي ذلك؟»

«جائذا أجب من غير أن أبدو مقرورة»

«لا تقولي شيئاً ولكن علي أن أحذرله أن كولن يحسب مقابلة
الفتيات وقد يخبره أن يلتقي فتاة مثلك.»
«سأحاول أن أذكر ذلك.»

وتسألت جين : كيف سيكون موقف ميغان إن هي عرفت أن
حيى لم تصادق أى فتى حتى الآن. لقد أدت الحالة دورى
دورها جيداً ولمكت من أن تغرس في جين شكوكاً جعلتها غير
واثقة من نفسها. وهي الآن تشعر بأحاسيس جديد بعدما عرفت أنها
قادرة على أن تتبرأ انتباه الرجال.

كان لون السماء يقترب من البياض والضوء يراقاً. وعلى جانبي
الطريق أشجار الخيل التي قد لا يخلو مكان منها في الجزيرة. ومن
على بعد ترتفع الجبال بانسياب، زرقاء باهتة. أخذت جين تنفساً
عميقاً وهي تهسى،
«هذا المكان رائع.»

ولذلك فهو مكثف بالسباح خاصة في هورت باتريك . فكل
أسبوعين ترسو سفينة في الميناء وينزل ركابها إلى الشاطئ. وهم يتفنون
أموالاً كثيرة في شراء القطع المفروزة والأعمال الخشبية المحفورة ولكن
بصفة عامة يسود الهدوء الجريئة، وأنا أحبها هكذا كما أن غائس
ينوي الحفاظ على هذا الطابع .

حدثت جين نفسها فائلة - أوه هذا الرجل ثانية ! أليس هناك مقر
من تريد أرائه !

انقربت من المدينة . أصبحت المنازل أكثر التصاقاً وأصغر
حجماً وبدأت الحدائق تتراعى لها غنية بالألوان مضيئة سحراً على

المدينة. بدت من على بعد المياه لامعة مندفعة في خليج فسيح يطل
على منحدر أوصلها إلى الطريق الرئيسي في هورت باتريك . لتجدا
منطقة ملأى بالمحلات التجارية وأساساً من كل شكل ولون ذاهبين
لشراء حاجاتهم من دون ازدحام في السير كما هي الحال في المدن.

التفتت ميغان إلى جين متسائلة :

«ألم متى تتوين البقاء في ساراتكا يا جين؟»

«كنت أتوي البقاء شهراً ولكن»

توقفت جين فجأة.

«هل طلب منك أبوك أن تبقي معه فترة أطول؟»

«نعم.»

«وهل ترغبين في ذلك؟»

«بالطبع أريد ذلك، لكن ..»

«ولكن لديك بعض الأسباب التي تدفعك للتردد. أهي خالتك ؟ أم
صديق لك؟»

ضحكت جين فائلة :

«لا ليس هناك صديق لكني وعدت خالتي بأن أحاول أن أعرضها
بعض ما أتقنته علي.»

قاطعتها ميغان وقد تورد وجهها ربما بفعل تهورها في الكلام :

«أنت لست مدينة لما بشيء أنا أسعة يا جين . ليس هذا من شأنى
ولكن حقيقة...»

ابسمت جين وهي تقول :

«أنا أعلم. لكن كل ما في الأمر أنها امرأة وحيدة بانسة.»

«انتظري أسبوعاً أو أكثر ثم قرّري.»

انعرفت بسيارتها في طريق فرعي ثم أدخلتها موقفاً للسيارات وراء مبنى كبير عصري.

كانت هناك لافتة ضخمة كتب عليها بحروف حمراء بحلات غرائف كان الجو رطباً داخل المحل الذي يسوده جو من الهدوء والأناقة. كان الطابق الأرضي مخصصاً للمأكولات حيث كانت التلاجات الضخمة ملأى بكل ما يمكن تخيله من أنواع الطعام المتأدات ميفان جين إلى المصاعد لتتقلق إلى الطابق الثاني. هناك غاصت قدما جين في سعادة حمراء سمينة.

انقضت الساعة التالية في التطلع والبحث وتجريسة الثياب والضحك أيضاً لم تكن جين تتصور أن شراء الملابس يمكن أن يكون ممتعاً إلى هذا الحد مع حالتها كان يتم ذلك وكأنه عمل روتيني يجب أن يتجزى في أسرع وقت وأقل كلفة ممكنة. أما مع ميفان فالتجربة لذيدة، فيها شيء من روح المغامرة

وأخيراً وجدت الثوب المنشود كان بسيطاً جداً، أو هكذا بدا مجرد ثوب مسترسل حتى الأرضي في خطوط ملساء دون أية زركشة، حريري ذي لون ناري براق بلا أكمام أما فتحة الرقبة فقد كانت مستديرة منخفضة الصدر والظهر مطرزة بشريط حريري بني اللون على شكل أزهار صغيرة داكنة.

لم تكن جين في حاجة إلى رؤية وجه ميفان المذهول لتعرف أنها تيدرج جميلة. قالت ميفان في اعجاب: «ما هذا يا جين، تيدرين رائعة.»

«نعم يا أمي إنها تبدو كذلك.»

استدارت جين بسرعة لتجد كولن بخطو محوها. كانت عيناه تحدق في جين وحدها وأحست بالدماء تتدفق إلى وجهها.

«ماذا تفعل هنا كان من الواجب أن تكون في العمل.»

«أنا الحادية عشرة فترة الراحة جئت أدعوكما إلى تناول شراب منعش، «هللي يا جين ادھبي واستبدلي ثيابك مسجرب ما تهني من القساوي في ما بعد.»

خلعت جين الثوب وارتدت ثوبها القديم. كان قلبها يخفق بسرعة لم ترند مثل هذا الثوب المنير من قبل. فقد شعرت بأنها شخص آخر أثناء الدقائق العليلة التي ارتدت فيها الثوب. أحست بأنها جميلة تقريباً. نظرت إلى نفسها في المرآة مكثرة عن وجه ساهر في محاولة لإعادة نفسها إلى حالتها الطبيعية وهي تهمس يا لك من فتاة مغرورة ولكن برغم كل هذا ظل في أعياها وهج داني. وعندما جلسوا ليشاوروا دهوة مثلجة وقليلاً من الكعك رأت ميعان تنظر إليها غير مرة على نحو يوحي بأنها تشاركها في الحفاظ على سر ما.

تساءلت ميعان في إحدى فترات انقطاع الحديث:

«أين خلفن الآن؟»

ذهب إلى أحد الفنادق ليحضر اجتماع عمل.

«الأفضل أن تعود إلى عملك، فلدينا أما وجين كثير من العمل.»

«إنها تحاول أن تتخلص مني.»

«إنك تهملي أبداً وكأنني دكتاتورة.»

قالت جين في نفسها: من الواضح أن هناك رابطة حب قوية

لجميع بينهما نمت لجة أن تذهب معها الى الحفلة بدلاً من غالفن .
 كانت تعرف أنها ستكون أكثر ثقة بنفسها اذا ما وصلت الى هذا الحشد
 وسط أصدقاء بدلاً من أن يرافقتها ذلك الرجل الذي ينظر اليها بطريقة
 تخيفها. فرغم تأكيداتها لميغان انها لا تأبه لأراء غالفن. فهي تعلم
 تماماً أنها تخشاه. حتى ذلك التفسير الذي لسته فيه عندما فاجأها وهي
 تعزف على الفيتار. كان مقلداً بدوره. فهو رجل عميق شخصيته
 معقدة نمت جين لو أنها لم تقابلها.

أحست أن ميغان و كولن ينظران اليها فضحكمت قائلة .
 «أسفة لقد كنت أفكر في شوي الجديد»
 ابتسم كولن وقال:

«لو كنت مكانك لما قلقت لذلك الثوب البرتقالي سيفرض نفسه في
 الحفلة»

«الثوب ليس برتقالياً يا عزيزي، لونه تاري غريب»
 «أسف يجب أن تعلموا جهل الرجال. والآن اسمعني بالذهاب مرًا على
 مكتبي قبل أن تفادرا المتجر لتتسليا المشتريات موصية»

قالت ميغان وهما في طريقهما الى الطابق الاسفل من المحل
 «هل تسمعين لي بأن أصطف شعرك غداً»

نظرت نحوها جين مذهولة،
 «ولكن - أنا»

«أرجوك يا جين. سأبوح لك بسر. لقد كنت أعمل منذ سنوات عند
 أحد المزيين - أقصد قبل أن أتزوج. كنت أتمنى أن تكون لي ابنة أفعل
 لها كل هذا. أرجوك يا جين . قولي إنك موافقة»

«سأكون غايه في السعادة»

تأبطت ميعان ذراع جين حتى وصلت الى باب عليه لافتة
 تقول خاص جروفني المتجر

دلفنا الى عرقه بمسوعة من المكاتب ينبعث منها طنين آلات
 تكيف الهواء وأصوات الآلات الكاتبة وطرقنا الباب الأخير
 «تمفضل»

دخلنا مكتباً فحماً مكيفاً لوجدنا أن الشخص الجالس وراء المكتب
 لم يكن سوى غالفن غرائت.

« ميعان وجين ا هذا لقاء غير متظر»

«أنا اسفة يا غالفن . تصورت أن كولن هنا. جتنا نأخذ حاجيات
 جين فقد قال إنها ستكون جاهزة في مكتبه»

«اه هههت. عدت منذ قليل وهو ذهب لمعالجة بعض الأمور المتعلقة
 بالمعجر. أعتقد أن هذا هو ما تبحثان عنه»

رفع صندوقاً ضخماً وضعت فيه مشتريات جين تعلوها فتورة
 حساب. ومفها بسرعة ثم قال:

«الفتورة محولة على حساب جون الخاص سأحمله الى السيارة»

أحست جين وهي تمر من أمامه بعينه مشبتين عليها وشعرت
 بحرارة في عنقها انه يلمس بكل تأكيد أنها بدأت تنفق اموال أبيها
 رفعت رأسها عالياً وهي تفادى المكتب. ان هذا سيعطيه مبرراً جديداً
 ليشعر نحوها بيزيد من الاحتقار.

وبعمل الحرارة والوهج الشديد أحست جين برخزة في جفونها
 ومرارة في حلقها وبانبهار في عينيها جعلها تضع نظارتين واقيتين من

الشمس.

قالت ميعان وهي تبحث عن مفاتيح سيارتها:

«شكراً يا غافن سترارك غداً عند سارة»

«إلى اللقاء»

فتح باب السيارة لميعان فأسرعت جين إلى الباب الثاني. وقد قررت ألا تنتظره حتى يفتح لها الباب بدورها. إذا كلل يتوي ذلك. تبادلوا التحية واسطلعت بها السيارة نظرت جين إلى السوراء لتجد غافن يرتب السيارة ويعلو وجهه تعبير غامض، بادرتها ميعان قائلة:

«أعتقد أنني عرفت ماذا تعصدين بكلامك عن موقف غافن منك.»
«هل لاحظت ذلك أيضاً؟»

«نعم كان في وسعي أن أحس يا للرجال كم هم بلهاء»
«ليس هناك شك في أنه فكر وهو يتفحص الفاتورة كيف أنسى أسرعت إلى اتفاق أمثال أبي.»
«أفنتي لو تركتني أقول له الحقيقة.»
هزت جين رأسها قائلة:

«دعني يفكر كما يحلو له»

كانت جين تزداد توتراً كلما اقترب موعد الحفلة. ورغم تأكيدات ميعان لها من أنها تبدو فاتنة فهي تعرف أنها تعوزها الثقة الكافية لتظهر أمام هذا الحشد من الناس وكأنها تقف أمام اللجنة الفاحصة في الامتحانات.

كان أبوه قد ذهب ليستريح فترة ما بعد الظهر. وعندما حضرت

ميعان في الخامسة لتصنيف شعر جين نزل للاعانة. كان يبدو شامخاً للغاية فصاحت جين:

«هل أنت في خير؟»

«سأكون على ما يرام فلا تقلقي أنا أشعر فقط بالاجهاد اذهبا الآن وتذكرا أنني أريد أن أرى الثوب لأعطي رأيي فيه.»
في الطابق الأعلى، وبينما كانت جين تغسل شعرها الحريري الطويل جلست ميعان في استرخاء تتابعها، قالت جين:

«مم يشكو أبي بالتحديد؟»

«إن ماك لا يعرف. فين جين وأخوتناجته تلك الثريات فيبعد القدرة على استخدام يديه لعنه ساعات من الممكن أن يكون السبب بعض الاضطراب العصبي وهذا هو ما يعتقده ماك وهو يأمل في أن تتمكني أنت من اقناعه يعرض نفسه على أخصائي وبالنسبة ماك سيكون في حفلة اليوم سأعزفك به وحيداً لك يمكنك أن تتحدثي معه في هدوء بينما أجلس أنا مع والدك.»

«اتقيا»

جلست جين تحبف شعرها في عرفة نومها وأنساء ذلك أخذت تتجاذب أطراف الحديث مع ميعان امتد حديثهما ليشمل الحياة في الجزيرة

مزارعها وبيوتها. هناك قدر محدود من الفقر في الجزيرة. فسكانها الأصليون يعملون دغ في صيد الأسماك وزراعة الفاكهة والسكر وجوز الهند هناك أيضاً صاعقة الاشرطة الحريريّة المفردة وهي صناعة مزدهرة. فاشترطت سارا منكا تتمتع بشعبية كبيرة بين السياح.

قالت ميفان وقد تذكّرت شيئاً:

«يجب أن تشتري بعض تلك الاشرطة المطرزة عندما نذهب الى بورت هاتريك مرة ثانية سأساعدك في استخدامها في نظير ثوب أو قميص للنوم فهي رائعة الجمال وفي الواقع أنه لو كان لدينا وقت كاف لكنا استخدمناها في حياكة ثوب لحفلة اليوم. كان سيكون مدعشاً. شرائط مطرزة بيضاء. فوق ثوب حريري قرنلي اللون.»

«لعلت ما فيه الكفاية بالفعل.»

«سندع ذلك للمرة القادمة.»

«والآن حدثيني عن سينات الجزيرة، فهي لا يمكن أن تكون جنة. حتى لو بدت لي كذلك.»

«نتعرض الى عواصف عنيفة وخفيفة تتخللها أمطار غزيرة وهو أمر مستغرب لجزيرة إستوائية ولكن هذا هو سبب الحفصة الزاهية كما أننا أحياناً نتعرض لغزو من أسراب الذباب ولكن ذلك ملل جداً.»

تراجعت ميفان عدة خطوات لتتأمل شعر جين. نظرت جين الى صورتها في المرآة وهي لا تكاد تصدق ما ترى. كل شعرها الذي ينساب باستقامة عادة على كتفيها مشدوداً الى الوراء ثم الى أعلى وقد ثبتته ميفان ببراعة بدهايس لينساب بشكل شلال من النعصر الناعم اللامع المتعرج ليطغى عنها.

«هذا عظيم يا ميفان ، أنت حبيبتى حقاً.»

طرفت إلن باب غرفة نومها وقالت

«لو عرف أبوك أنني ما لأطاح برأسي. ولكن يجب أن أقول لك فأبوك ليس في حالة تسمح له بالخروج الليلة، هذه هي الحقيقة.»

استدلت جين في فزع وقد نهضت من مقعدها:

«ماذا هناك يا إلن؟»

«لا تقلقي. ولكنه عندما يكون في الحالة التي هو فيها الآن فالشيء الأمثل له هو أن ينام مبكراً ويأخذ قسطاً وافراً من الراحة.»

«اذن يجب ألا نذهب الى الحفلة؟»

«هذا هو الأمر الذي جئت أحدثك فيه. انه يعرف انك ستقولين هذا وهو عازم على ألا يفسد عليك سهرتك الأول. ولذا سيرفض وسيبذل جهداً لاتناعك الأمر الذي سيريد توقعكاً.»

أرمأت جين برأسها وقد بدأت تدرك العرض من بجي. إلى: «اذن يجب أن أقول له أنني سأذهب الى الحفلة بمفردي.»

توقفت بعد أن كانت قد اتجهت صوب الباب.

«لا لن أستطيع. كيف أذهب وأتركه يا إلن؟»

«إذا قلت له انك لن تنهي الى الحفلة، فانه سيمسار الى القول انه ليس مريضاً وأنه على ما يرام. انه رجل عتيق.»

هزت إلن رأسها في أسي واستدلت خارجة من الغرفة وقد تدلّت كتفها في يأس. أمسكت جين بدهاها قائلة

«لقد هزمتني. كل ما في الأمر أنني لا أريد أن يظن أنني أردت أن أذهب بمفردي ولكن اذا كان هذا لمصلحته.»

«طبعاً، ان ذلك لمصلحته بالفعل. وإلى جانب ذلك فانت ستذهبن مع السيد شافن وأبوك متأكد من انه سيهتني بك.»

صاحت جين

«لا لقد تسببت هذا.»

وعندما رأت إلن تقطب جيبها في حجرة بادرت قائلة
«أعني أليس الواجب أن نبلغه بهذه التطورات الجديدة»

«لا يا عزيزتي سيصل بعد لحظات وهو سيمسك بصحبتك»

هست جين لنفسها نعم أنا واثقة من أنه سيمسك بذلك.

أصبح الأمر الآن أكثر سوءاً أمامها الآن رحلة مرتقبة مع ذلك
الرجل - هما الاثنان فقط وليس لهما من حديث سوى بالطبع أمانيتها
في ترك أبيها المريض وحده عادت بتكاسل إلى المرأة فثقت لولم
تذهب، لكن ليس أمامها حيار الآن. طامعها وجهها في المرأة وهو أكثر
شجوراً من المعتاد، وعيها واستعان تمنعان في حضن الصباح نظرت
لصورتها في المرأة قائلة. استعري، استعري بالشفقة على نفسك.

ومع تلك الكلمات القليلة العربية توصلت إلى قرار، دعت وجنتها
لتعيد إليها لوتها ونظرت بتحد إلى نفسها بكل عتاة وحذر بدأت
جين تضع المساحيق على وجهها دون أن تدرك أنها ليست في حاجة
إلى أي شيء من هذا.

تعثرت جين وهي تهبط الدرجات، وثقتها الجديدة في ذاتها، وليدة
التحدي. فخلت عنها للحظات عندما سمعت أصواتاً تبعث من غرفة
الجلوس. فقصت شفتيها ووقعت أمام الباب المغلق يملكها دُعر
مفاجيء لم تستطع أن تحتد ذلك الموقف ولكن عليها أن تفعل ذلك.
فتح الباب على مصراعيه فجأة فاطماً عليها أنكارها رفعت جين
يدها إلى صدرها وهي تلهث

ظهر غانن وقد بدا متدهشاً مثلها. ثم تراجع قائلاً:

«أنا آسف»

كان صوته رابط الجأش واثقاً نظرت إليه جين للحظات عاجزة
عن النطق، لاحظت أنه كان يرتدي سترة بلون الطبي الصغير رائعة
الجمال وقميصاً ناصع البياض مبرزاً لونه الأسمر الداكن. كان شعره
منشط إلى الوراء لامعاً أما عيناه الرماديتان فكانتا ترتفانها بغشور.
أخذت جين مصاً عميقاً ثم ابتلعت ريقها ها هي الآن مستعدة
لمواجهته.

«شكراً»

قالتا ومنحته بسمة صغيرة وهي تدخل الغرفة متجهة إلى أبيها

«قالت لي إلن إنك لست على ما يرام»

وضع يده المتعبة فوق فروعها وجذبها إليه.

«صدقتي» أوامر إلن لا تعصوا لقد قررت أنني لست في حالة
تسمح لي بالعقاب. تتقصي الشجاعة لأخبرها أنت تعرف إلن يا
غانن»

هر غانن كتفيه وبلي لحظات ثم قال

«هذه هي الحقيقة. فمن بعضاها يجب أن يكون أنجع منا نحن
الاثنين»

«لم أكن أريد أن أذهب يا أبي عندما أبلغني إلن أنك»

«ادعني يا جين - غانن سيوفر لك كل الرعاية. استمتعي بوقتك.

أنت تبدين رائعة الجمال وأنا لفخور بك يا عزيزتي»

«شكراً يا أبي»

سارت جين نحو الباب كالعمياء لكنها كانت تعي أن غانن

يقف في انتظارها محكاً بالبواب.

سارا نحو واجهة المنزل حيث كانت تقف سيارة المرميس البيضاء.
فتحت لها باب سيارته في صمت. جلست جين وأحست بصدغيها
تنبضان بفعل هذا التوتر المفاجيء. وبعدما أقفل باب السيارة خطا نحو
مقعد القيادة. وانطلقا.

٤ - الحفلة

قاد غافن سيارته برشاقة وسأل جين:
«هل تحبين الاستماع الى بعض الموسيقى؟»
«نعم أرجوك.»

فكرت أنّ ذلك سيوفر عليها على الأقل حرج فترات الصمت في
حوارهما - بل ربما لن يكون هناك حوار على الإطلاق.
كان قلبها يخفق. لم يكن خيالها الذي صوّرها ذلك ولكنها أحست
بالفعل وكأنّ توتراً يغمرها بموجات تكاد تكون محسوسة. حدثت نفسها
قائلة:

«أنه يكرهني وأنا عرفت ذلك فلماذا لا أنجاهل تلك الحقيقة. لم تكن
لديها أسلحة مماثلة تقاتله بها عدا سلاح واحد أنوثتها. ففي أعماقها
كانت تعلم أنه برغم عجزه كانت هي التي تملك المبادرة. فضعفها
كان في الواقع هو سبب قوتها.

«متى تنتهي تلك الحفلات عادة يا غافن؟»
«تستمر طوال الليل أحياناً. ولكن تستطيعين والانسحاب ساعة

كان صوته رفيقاً يقتدر الى الجهاش لكنها لاحظت أن يديه كانتا تضعطان على عجلة القيادة قليلاً. انها تفضل أن تخذل الى النوم بعد منتصف الليل مباشرة. لكنها لن تطلب منه أن يبعدها الى المنزل تراهي لما وجهه وهي تطلب منه أن يعودا والحفلة في أوجها

كانا يتجهان الآن صوب بورت باتريك لكن كل شيء بدا مختلفاً الآن في ظلمة الليل وكأنه تبدل بعمل سحر السماء السوداء المخملية، ليبدو كأرض المعجائب المرصعة بالسجوم تنهدت بعمق وقد أحست أنها وقعت بالفعل في هوى تلك الجزيرة وسحورها القامض ياليت كولين هو الجالس جوارها لكأنت شعرت معه بالراحة. تنعم ببقية اعجابه الصريح بدلاً من شعورها الخالي بالدنب لأنها تصيح وقت هذا الرجل المضطرب لصاحبتها وتذكرت أن كولين وميفان سيكونان في الحفل، مما جعلها ترتاح

حقت حدة التوتر قليلاً عندما نجحت حين في الاسترخاء ساعدتها الموسيقى على ذلك لأنها وفرت لها شيئاً يمكن أن تركز عليه انتباهها. كانت كل حواسها مستيقظة مركزة على ذلك الرجل الجمالين قريبا من قراعتها من خيماً كلياً حرك جهاز السرعة كانت نسباته كالصخر وهو يراقب الطريق أمامه. الأمر الذي شجعها على المحاطرة بإلقاء نظرة خاطفة عليه. مررت الأشجار والمارل من جوارها في شكل ضباب رمادي اللون حين اقتربا من المدينة انعطفت الى اليسار في طريق ضيق مرتفع كان القمر ساطعاً وقد أغرق الجزيرة بنوره الخافت وتذكرت ليلتها الأولى في سارامسكا عندما قامت بتلك التزعة

كانا وحدهما الآن تماماً وسط تلك الظلمة وقد تركا المدينة وراهما. كان الطريق ضيقاً كشرط أبيض منبسط أمامهما. عن بعد كان ضوء القمر يلعب فوق مياه المحيط الداكنة. صاحبت في اندفاع وقد نسيت تماماً أنها في صحة غائن

«باللوعة...»

«نعم انها حقاً رائعة»

خفف من سرعة السيارة ثم توقف تماماً لماذا فعل ذلك؟

جاءت ضحكته المفنضة لتؤكد لها أنه قرأ أفكارها وقال

«اعتدت انك قد تحين أن تسرني من السيارة لتلقي نظرة أكثر وضوحاً»

«أشكرك»

فتحت جين باب السيارة وهبطت وكأنها تخشى إثارة غضبه ان هي رفضت. وحاولت أن تقاوم ذلك الاحساس بالخوف الذي داهمها فجأة.

انه لا ينبغي الهجوم عليها فلها هذا الخوف؟

راحت لتحقق بعيداً في ذلك المنظر الشامل الممتد أمامها إنه يلف قريبا الآن ابتعدت قليلاً. وبلا أي تفسير تارعتها وغبة قوية في العودة الى السيارة.

«لم أكن أنوي أن أمسك»

فالها بيرة خشة وكأنه قرأ أفكارها

أحست جين وكأن شيئاً ينهار في داحنها فعالت وهي تستشيط

غضباً

«لم أكن أنتصوّر أنك ستفعل.»

«كلا ؟ ففرت وكأنك ظننت أنني سأحاول الاعتداء عليك.»

«هذا ما صوّره لك خيالك.»

استدارت عائدة إلى السيارة تاركة إياه في حالة غضب، لحق بها دون أن ينس بكلمة واحدة وأطلقا بسرعة، دون أن يتبدلا أية كلمة.

لاح المنزل من بعيد يشتمل ضياءً، تبخرت قوة التحدي التي كانت لدى جين. استقامت في مقعدها، حملت في السيارات الكثيرة المصطفة أمام المنزل. ثم افتتح باب البيت لتجد على عتبة قنطرة طويلة في حالة من الضو الذهبي تصبح قاتلة:

«عزيزي عافى. الآن نستطيع أن تبدأ الحفلة.»

أخذت جين ترقبها وقد وفقت مهلة في الحفلة. مبتأ ساره تشب على قدميها لتعاني غافن مرحبة، رة عليها قنطرة

«مرحباً يا ساره. تدين جميلة للغاية.»

أطلقت ساره ضحكة رنانة ثم مدت يدها ناحية جين وكأنها قد تذكرت وجود شخص آخر معها:

«أهلاً، من المؤكد أنك جين لطيف جداً منك أن تحضري.»

ظرت إليها جين انها فتاة جميلة. كل شيء فيها كان يوحي بأنها تعرف كيف تعني بنفسها بدءاً بشعرها الحريري الأشقر حتى

أصابع قدميها التي طُلت من تحت ثوب أبيض بسيط يخطف البصر، ثياباً الشفافة تطفو حولها مطوية فتعطي الحيل كانت عيناها واسعتين

داكنتين ترقبان جين في عملية تقييم صريحة ماهرة

«كم تبدو رائعة تفصلي. أنا واثقة من أنك في حاجة إلى قدر من الانتعاش بعد رحلة الطريق. ابحث عن مكان توقف فيه مبارتك يا حبيبتي وسأعني أنا بجين.»

قالت له يا حبيبتي تساءلت جين عما إذا كانا كذلك بالفعل. إنها لن تدعش لذلك، فقد حياها بحرارة لم تكن تتوقع أن يجدها فيه.

اصطحبت ساره جين إلى غرفة نوم ذات أثاث قديم وأشارت إلى منضدة الزيتة فائقة:

«تفصلي يا جين، اخدعي نفسك بتفكك.»

ابتسحت ساره فجأة ثم رفعتها بنظرة أخيرة وخرجت.

تهافت جين على أقرب مقعد وهي ترتعش. أغلقت عينيها لحظة وأحسّت بأنها تريد أن تهرب وتخسب، كان مسلك ساره وكل

ما يحيط بها محسوراً بدرجة جعلت جين تشعر أنها صغيرة تافهة. أحسّت وكأنها تشترك في صابغة جمال، تفحصتها عينا ساره

الجميلتان الفاسيتان وكأنهما عينا حكم في صابغة، يقيم ويضع الدرجات ثم يصرف النظر عنها. كانت جين ساذجة جداً عشت انها

لم تدرك مهارة ساره في إخفاء مضاعرها الحقيقية وكيف أنها استغلت بذلكه. حياء جين الفطري الدفين وعرفت كيف تستغله

لمصلحتها

بيدين مرتعشتين وضعت جين أهر شفاء، تنقست نفساً عميقاً ثم المجهت نحو الباب واستمعت إلى أصوات الثرثرة المنبعثة من

الطابق الاسفل قاومت شعورها بالخوف ثم نزلت درجات السلم في سكون وهي متشبثة بالدرابزين الحديدى أملة في أن تنسل إلى الداخل

وتبحث عن صيغان قبل أن يراها أحد.

جاء صوت سارة واضحاً عالياً:

«انظروا جميعاً، ها هي جين».

كانت سارة في انتظارها. وبمجرد أن اخترت من العرفة، سادت صمت مفاجئ. وتوقف الحديث والضحك تماماً عندما أخذ الجميع يراقبونها وهي تسير مع سارة كانت جين تومجف لكتفها في تلك اللحظة رأت بين الحاضرين وجهاً متهكماً تعلوه بسمة ساخرة. كان ذلك الوجه هو وجه غانن تنفتت في عيني. ثم أحست باصرار ينمو في داخلها لمواجهة الموقف ابتسمت فجأة بينما كانت سارة تقول «أعزكم بيجين، ابنة جون أولغستاس ريتشي».

وراحت جين تصافح رجالاً ونساء يرتدون ثياباً أنيقة، وجميعهم أيضاً يقيمونها من وراء ابتساماتهم وتحياتهم التقليدية التي انتهت عليها. اجتازت كل هذا بلا تردد بعد أن استعادت ثفتها بنفسها بسبب بسمة ساخرة على وجه رجل ونجحت في ألا تعطي أصدقائه ذرة من الاهتمام.

بدأ الحديث يتصاعد من جديد تدريجياً وكان في وسع جين الآن أن تلتقط أنفاسها بهربة واسترخاء إذ أحست بالضغط يحصر من حولها بعد أن تحول اهتمام الحشد إلى قادمين جدد. أما غانن فقد احتفى وسط الحشد.

في تلك اللحظة وجدت جين نفسها قرب والدة سارة التي قالت لها

«أنا واثقة من أنك في حاجة إلى هذا المرطبي يا جيم. إشرعي

يا عزيزتي».

«شكراً».

«هل جنت أنت و غانن وحدكما؟ أنا أسفة لأن والدك لم يحضر لكن من المؤكد أن غانن ظريف جداً أليس كذلك؟ أنه يشكل مع سارة ثنائياً رائعاً. أليس كذلك؟»

«نعم بالتأكيد. واطن انها سيعلنان خطوبتهما قريباً».

«لا أقول شيئاً من هذا. فالأمر ملزالي سرّاً».

«لا لن أقول شيئاً على الإطلاق».

قالت جين ذلك ثم رشعت من مشروب ذهبي تائرت فدهائه من كأسها ليأخذ طريقه إلى جوفها في رداد مملج مسموع.

استأذنت السيدة سهايث لتجد جين نفسها تقف وحيدة تماماً وسط بحر من الوجوه الضاحكة، متعزلة وكأنها تقف في جزيرة مهجورة ودون تمكير رفعت كأسها وابتلعت كل ما فيها دفعة واحدة ثم سمعت صوتاً يقول «انك رائعة فعلاً».

التفتت إلى الورا لتجد وجهاً يشوشاً لرجل متوسط العمر كان أصلع الرأس ذا أنف مدب وعينين ساحرتين أهداب داكنة «أنت الدكتور هاكسونالد».

«كيف عرف ذلك يا جين؟»

«فالت لي صيغان أنك ستكون في الحفلة كما أنه لم يكن ممكناً أن تعوتني تلك اللهجة المحببة ولكن كيف عرفتني أنت؟»

«أنت أيضاً تطابقين ماسمعت من أوصالك، وقد رأيت سارة وهي

تخصك بتلك المعاملة وليوني أيضا كنت مندساً وراء تلك الزهرية
عندما كانت تسرد عليك تلك القصة المعادة عن سيرة وغاين «
«ماذا تعني بتلك المعاملة؟»
رفع حاجبيه مندساً.

«ألم تنهني؟ قولي لي ماذا كان شعورك وهي تقودك صائحة أمام هذا
الحشد بعد أن أدركت حجلك دعينا نجلس بعيداً في ركن هاديء أريد
أن أحدثك عن أبيك.»

وجدت جين معها تجلس في جوار الرجل الودود، وهكذا أصبحت
الحفلة أكثر بهجة، أودجت العرفة وعر الكرسون بالمشروبات التي
كانت تختفي قبل أن يتقدموا بضع خطوات. ظهر غافن فجأة وألقى
نظرة عليها ثم احتفى وقد ابتلعه الزحام جلس ماك وجين يتحدثان
غافلين عن كل هذا إلى أن ظهرت صيفان، حيثها بسرور وجلس
قربها قائلة:

«كنت أود أن أكون هنا ساعة وصولك يا جين. أين جون؟»

«لم يستطيع المجيء.»

«أذن جئت أنت وغانن وحذكما؟»

«نعم.»

نظرت صيفان إلى جين وبدت وكأنها كانت على وشك أن
تقول شيئاً ثم عدلت.

تحدث ماك عن طريقة استقبال سارة لجين فقالت صيفان
لجين:

«لماذا كنت أود أن أكون هنا وقت وصولك لكنني واثقة أنك كنت رائعة

كما ذكر لي مالد.»

وصل إلى أسعاهم صوت موسيقى منبعث من مكان آخر من
المنزل، ونغمات متنافرة واضحة في محاولة لضبط أوتار الآلات
الموسيقية. قالت صيفان:

«سيد أون الرقص الآن. وبعد ذلك سيلتحنون مائدة الطعام.»

تحولت الحفلة إلى ميدان صخب، كتلة دائرية من الألوان كالرجاج
البراق، كتلة من الضجيج والمتعة، بعد أن احتست جين كأسها
الثانية وتولى كولن الذي وصل متأخراً رعايتها أندفا نحو فتاة
خلفية واسع حيث كانت الفرقة الموسيقية تعزف. كان الغناء ممتداً نحو
مروج حضراء حيث كان المدعوون يرقصون على النجيل المضاء
بالأنوار وكذلك على أرضية القاء الحجرية وقد تناثرت فيها أصص
الحيل وتوسطتها نافورة صغيرة تتناثر منها المياه في شكل جميل.

قال كولن لجين وهو يراقصها:

«أنتك تشربين صبغة يا جين.»

«دعك من هذه الدعايات.»

احترت جين حرجلاً وتعثرت خطواتها وقد ساءت مداعبته الساخرة.
أسكها بقرة ليهول دون نعتها من جديد. وهمس قائلاً:

«أنا لا أمزح يا عزيزتي صدقي. تبدين رائعة الجمال.»

كانت الموسيقى صاحبة تشيع حيوية تعاقبت بعد ذلك عذبة
رقصات رأت في أحدها غافن وسارة يرقصان معاً. كانا يحتضنان
بعضهما البعض بقوة وكأنهما لا يشعران بوجود أحد.
لجأة أحست جين بالدوار وكالت لكولن:

«أمكننا أن نتوقف عن الرقص قليلاً لقد تعبنا
جذبنا الى الخارج لثلاً

«أنت في حاجة الى هواء نقي يا عزيزتي»

في الهواء الطلق أحست جين برعشة البرد. أحاطها بهزاعه قائلاً
بصوت عذب

«لحسنت حالتك اليس كذلك؟»

أدارت نحوه وجهها ضاحكاً وهي تقول:
«نعم أعتقد ذلك»

«سأمارس أساليبى الثمينة معك»

ابتعدت وهي تقول:

«شكراً على تحذيرك إبلي. والآن يجب أن نعود الى الحفلة»

عادت الى الرقص بكل حماس وقد قررت أن تندمج في الجور

لم يكن في وسعها أن تتصور كيف كانت تبدو فاتنة. هيفاء نحيلة
في ثوب الجميل، شعرها لامع يشترتها تشع بالصحة وهي تضحك
وترقص حتى انقضى المساء.

وفي إحدى الرقصات كانت مع جوني ميليا وهو شاب جذاب
عرف أنه زهر نساء فرأت غالى يقف وحيداً، يدخل سيكراً كانت
نظراته اليها ماسية فاتنة ومهدأ لغافس اهتمت لجوبي. وأحست
بقدر من الرضى عندما رأت غافس يستدير في سرعة ويسير مبتعداً
ساعدها الطعام الذي تناولته على استعادة قدر من اتزانها دخلت

هي و كولن وميغان وماك وانضموا الى المتراحين حول العشاء المعد
بأمانة. وهيبا كانوا يسرون مسكين بأطيانهم ينتفون شرائح الدجاج

واللحم وعشرات الأصناف من الأطعمة العربية والمبهجة سمعت
صوتاً يقول:

«هل تستمتعون برقصكم؟»

استدارت لتري غافن.

حيثه ميغان قائلة.

«مرحباً أياها الغريب، لم نرك كثيراً اليوم»

إبتسم إبتسامة مفتضبة وقال:

«كنت أقوم بجولة بين المدعوين»

استدار نحو جين التي كانت تقف مع كولن وقال لها:

«هل كانت الحفلة كما تتوقعين؟»

«نعم، وهل هي كذلك بالنسبة اليك؟»

«بالعمر الذي توفره أمة حيلة»

لاحظت أن صوته كان فائراً. ولم تعرف السبب الذي دفعها الى أن
ترد عليه بفتور محائل بقولها:

«عندما تشعر بانك لم تعد راعياً في السهر ارجوك أن تبلغني»

أدارت ظهرها له ثم التفتت قطعة كبيرة من الدجاج.

«سأفعل، هل تأذنون لي؟»

وهنا قال كولن

«لماذا كل هذا؟»

استدارت ناحيته وعينها تلتمعان في الخد:

«هل كنت غظة؟»

«الناس لا يتحدثون هكذا مع غافن»

«هذا يدعو أكثر للأسف»

ردت جين بهذه العبارة ثم أحست بالتندم وسمعت ضحكة ميفان المفتضة فاستدارت.

«أحسنت صعباً يا جين»

تتهدد جين في عمو. هناك شخص واحد على الأقل في جانبيها. لقد بدأت بالفعل تندم على تهورها في ردها على غافن. فهي لم تكن يوماً نظة مع أحد لكن غافن لم يكن غطاءً عادياً من البشر. أحسّت جين بقدر من التحسن عقب العشاء. أقبلت سارة نحوهم مبتسمة وهي تطرف بأهدائها في حياء ناظرة إلى الرجلين وقالت: «أرجو أن تكونوا جميعاً مستمتعين بوقتكم»

ثم مدت يدها وأراحتها على فروع جين فالتفت «سررت بمحبتيك يا جين» أرحوا أن تأتي الينا مراراً ولعلنا نقضي يوماً معاً في بورت باتريك»

انسلت مبتعدة فتتهدد مارك

«باللعجب. أنت محظين بالمعاودة والتكريم. إن سارة لديها ميرواتها لذلك فهي تتوقد إليك حتى تضمن ألا تعاملى سرقة صديقها»

نظرت جين وميفان كل إلى الأخرى وانفجرتا في الضحك دون أن تنقما ذلك تبريراً لمسلكتها هذا

بدأت جين في وقت متأخر من الحفلة تشعر بالاجهاد بل وربما المرض أيضاً كانت تجلس هي وميفان وحدهما في ركن هادئ نسبياً. وتفتت جين حولها في يأس. كانت تحسّ بعذاب العرق تنتشر فوق جبينها هصمت فأنلة

«سأذهب إلى الحمام»

سألنها ميفان في قلن.

«هل أنت في خير»

«نعم لكنني أحسّ بدور من الاجهاد. فأنا لست معتادة على السهر. لن أغيب»

«سأتي معك»

«كلا لا تزعمي نفسك»

لم يلاحظ أحد انسلالها إلى الطابق الاعلى. وفي الحمام، غسلت وجهها ويديها، جلست ساكنة للحظات، ثم سأرت غير رواق غطته سجاجيد مفرقة أخذت تتأرجح بشكل خفيف، كظهور مركب في عاصفة. مرت جين بفرقة نوم مفتوحة. لترى سريراً نظيفاً ووضعت لآغراء قوي. قد خلت بثبات، خلعت صندلها، ثم رقدت وهي تتهد في راحة. افتقت على يد تهزّها، وصوت ات من بعيد.

«جين هل أنت في خير»

فتحت عينيها لترى خيالاً مرتعشاً لرجل وقد وقع عليه الضوء الأثني من الباب المفتوح أحسّت بالذعر، حاولت جاهدة أن تجلس لكنها شعرت بدوار. ثم استعادت اتزانها بالقدر الكافي فرأت كولن يقف في جوارها.

«كولن يبدو أنني استغرقت في النوم كم من الوقت مضى علي وأنا هنا»

ضحك وهو يجلس قربها على السرير قائلاً

«حوالي ربع ساعة فقط كانت أمي قادمة تبحث عنك لكنني تطوّعت

للقيام بالمهمة أنتشعري بأنك مريضة»

قلمت جين محاولة أن تجد وضعا أكثر راحة فتطرح كولن لمساعدتها.

«كلا كنت متعبة فقط - كانت رأسي تدور أما اسفة»

«لا تعني اسمعي، هل تؤذين أن أصبحك الى المنزل؟ فاريت الساعة الثانية»

اتسعت عينا جين وهي تقول

«هل يمكنك أن تفعل ذلك؟ من المفروض أن أذهب مع غافن، لكني واثقة أنه يؤيد أن يمكث حتى النهاية وأنا لست معتادة على الحفلات الصاخبة»

«اسمعي، سأنزل لابلغ غافن بأنك ستأتين معي»

توقف فجأة عن الكلام عندما سقط ظل شع على أرض الغرفة المظلمة أعقبه دخول غافن نفسه. ساد الصمت هيبه بينا كان الأخير ينظر الى جين وكولن وقد حلا وجهه من أي تعبير ثم قال «عفواً ماكنت اريد الدخول، لكن جيل إلى أسي سمعت شخصاً يناديني»

أحسّت جين بوجهها يشتعل وسط الظلمة التي رحمتها من عينيه لم تتجع ليرته اللامبالية في احفاء الاحتقار الحاد الذي ظهر في كلماته. أبعاد كولن يده عن جين ثلاثاً؛

«كنت على وشك أن أسزل لأراك يا غافن. قلت لجين أنتي سأصحبها الى المنزل»

«هل تؤذين أن تلحني الآن بلجين»

«نعم»

«اذن سأصحبك»

«لكن»

بادرته جين معترضة حتى لا تضطره الى ترك الحفلة قبل نهايتها.

غير أن كولن أسرع الى القول:

«حسنًا اتفقتا»

«كنت تعرف برغم الظلمة الجزئية التي كانت تحيط وجه غافن، أن عيني كانتا مركبتين عليها وهو يقول:

«انا أحضرتك وأنا وعدت والدك بأن اعيدك الى المنزل»

«كنت تنتظر أن يعالج كولن الأمر بطريقة، أن يعيد كل شيء الى وضعه الطبيعي ولكنه لم يفعل بل هز كتفيه ونظر الى جين وكأنه يؤيد أن يقول لا فائدة من الجدل ثم قال:

«اتفقتا يا غافن، فأنت الرئيس»

«ساد صمت مفاجيء ثم استدلل غافن خروجا:

«سعدا وقع قدميه وهو يعتمد فأطلق كولن زهرة ارتياح عميقة: «انه طيب ويحبون في أ»

«جلست جين وتثبتت به كمن ينشئ بطوق نجاة وقالت:

«فلذا - لم تصر على اصطحابي»

«لا مجال للتفاس مع غافن صدقيني، فلما أعرفه»

التفتت جين حقيبتها وهيبت السلام مع كولن ثم سارت نحو الباب وهي تشعر وكأنها ذاهبة الى المجحوم.

٥ - المواجهة

لوحّت جين لكولن ، ثم استقلّت السيارة. أحسّت وكأن الصلة الاخيرة بينها وبين المدنية انقطعت لحظة سمعت صوت انغلاق الباب الخارجي للمنزل. لم يكن في وسعها أن تغتر عن مدى تعاستها عندما لاحظت غضبه البارد مثل الصفيح. جلست متصلة في مقعدها لا تجسر على الاسترخاء خشية أن تستغرق في النوم. كان تصوّرها بأنها ستقوم برحلة تستغرق ساعة كاملة مع ذلك الرجل المتجهّم الوجه يخيفها. بدأ يقود سيارته بسرعة مبتعداً عن المنزل الذي أخذت جين ترقبه وهو ينفهق كلّها انطلقا بسرعة نحو الظلام. سألها وهو يشعل سيكارة:

«هل يضايقك أن أدخن؟»

«كلا».

وردّت وهي تفكر كيف أنها لا تجرؤ على الاعتراض. لا أحد يستطيع مناقشة غافن، ولا حتى كولن الذي نفذ ما أمره به غافن في غرفة النوم. كم كانت تتمنى لو أنها لم تذهب الى هناك.

كانت تتمنى أيضاً لو أنها لم تتحدث بمنزل تلك الحصة في غرفة الطعام.

ملأت رائحة التبغ المعطرة السيارة، فنظرت جين من النافذة وهي تتمنى ألا يدفعها ذلك الى الشعور بالغشيان. كانت رأسها تؤلمها ألماً أخذ شكل النبض البطيء الثابت الموجع، وكانت تشعر وكأن عينيها مليئتان بالرمال. لم تستطع أن تتحمل ذلك الصمت الثقيل أكثر من ذلك، فأنفجرت قائلة:

«أسفة لأنني اضطررتك الى ترك الحفلة».

«أحقاً أنت أسفة؟»

توفج السيكار وهجأ أحر حين أدار رأسه لينظر اليها.

«نعم أسفة. ولذا السبب كنت أودّ أن اعود مع كولن»

«هل كنت ستدعيني بصحبك الى المنزل؟»

«نعم، فانا أعلم أنك كنت تودّ أن تبقى حتى نهاية الحفلة».

«قلت لك أن تبلفيني عندما تؤذين الرحيل. فانا عندما أتعهد بشيء»

احرص على تنفيذه. قلت لوالدك أنني سأعيدك صالحة الى المنزل،

وسأفعل ذلك دون أي اعتبار للوقت».

«كان أبي سيتفهم الموقف».

«ليس هذا هو محور الجدل، أليس كذلك؟»

أحسّت لهجة احتقار حادة في نبرته. أصرت على أسنانها بجملة

مسانلة في تهكم.

«أظنه شيئاً رائعاً أن يبلغ المرء حدّ الكمال، أن يفعل داتماً الشيء».

الصراخ ؟

لفظي سيكاره بعناية وضحك قائلاً:

«لا جعلينا نخط إلى مستوى الاكاذبات الشخصية.»

لم تكن في ضحكته أي سوع من الدعاية. شبت جين يديها بقوة وقد ملأها غضب جارف. نظر إليها، فرأى لبتها المتوترة كما لاحظ تنفسها السريع واستطرد:

«لو كنت مكانك لماولت أن استرحي. أمامنا رحلة طويلة.»

«كيف استرحي وأنا معك؟ انك تظهر تماماً كم أنت متضايق من مهمتك أنا أشعر بذلك.»

وضعت يدها على جبهتها المتألة، شاحطة بقوة.

ضبط بقدمه على العرامل فوقفت السيارة بهلاسة. استدار قائلاً:

«حسناً، أوصحي عما في صدرك. ماذا تعنين بالضبط؟»

أشاحت جين بوجهها لم يكن هناك ضوء أو صوت. كاتما وحدها في صحراء شاسعة من الظلام، والآن أدركت لماذا استسلم كولون بذلك السرعة، فالقوة التي يتمتع بها هذا الرجل حارقة. كان ينتظرها تفكلم وكأنه ثمر متأهب للانقضاض.

لم يكن لديها أسلحة لمحاربه بها، ولأنها كانت تعرف أنه ليس في

وسعها أن تفوز في حرب كهذه لقد تشجعت وقالت:

«حسناً، سأقول لك لقد أقصعت تماماً عن مدى كراهيتك لي. أنا لا أعرف لماذا، لم أفعل لك شيئاً. ويجب أن تتعلم أن تحكم على الناس كما هم في الواقع لا كما تتخيلهم أنت.»

اشتد صوتها وأصبح أقل تردداً فهي تعرف الآن، أنه ليس لديها ما تخسره. أن أسوأ ما يستطيع أن يعمل هو أن يطلب إليها مفارقة

السيارة لنعود إلى البيت سيراً على القدمين. واستدارت بالفعل ومست مقبض الباب، وكأنها تدرس تلك الفكرة. رأى عاين حركتها فقلل بحة.

«أين أنت ذاهبة؟»

«لست ذاهبة إلى أي مكان، ومع ذلك فقد كنت أفكر أنه سيكون من الأفضل أن أعود إلى المنزل سيراً على القدمين.»

«أتري ذلك؟ سنكتشف حطأك بعد بضعة خطوات إلا إذا كنت تحبين أن تحترق الحفائش شعراً.»

«أنا لا أخاف الحفائش إنها مجرد غيران طائرة - وهي مخشانا أكثر مما نحشاه.»

«أنت تدشيتني فمعظم النساء يرتعين من الحفائش.»

«أنا لست مثل معظم النساء ومع ذلك عانا لا أعرف لماذا تعتقد أن الشجاعة تنقصنا بالمقارنة مع الرجال فالسوء لم يمدن مخلوقات ضعيفة صدق أو لا تصدق أن لديهن عقولاً أيضاً.»

«حسناً، لقد شرحت وجهة نظرك جيداً.»

مد يده نحو ولاعة السكائر مرة أخرى، فقالت جين:

«هل أنت في حاجة إلى السيكار ليمدك بالشجاعة؟»

أحست جين بأن هناك شيئاً ما يستحثها على الاسترسال، فرة لم تكن تعيها، ولكنها كانت تزدد بشكل ما أن تحترق ذلك السطح الخارجي، أن تنقب مناعته الحصينة هذه لتري ما وراءها رأت من خلال الضو الغاتم المنبعث من لوحة أجهزة التياس عضلات وجنتيه تنقبض وسعت تردد أعماه فرعت، أنها سجلت هدفاً ضده معها كان

حجبه نافياً.

«كلا، لست في حاجة الى السيكار لكنه يساعد في معالجة التصرفات الصربية».

«إن سلوكي ليس صربيةاً».

«أنت تدعيتني، أعطيتني انطباعاً قوياً بذلك حتى الآن والآن هل انتهيت وهل يمكننا أن نواصل رحلتنا؟»

«نالت وهي تلهث:

«أنا لا أعرف لماذا توقفت أصلاً أنت انساى كريمة»

«لا تتأذى في وقاحتك أكثر من هذا يا اسمة وينتي، فقد تفذ صبري».

أشعل سيكاراً آخر يبطه كانت الرائحة المعطرة للسيكار الذي أشعله أخيراً بمثابة الضربة الأخيرة. فقد دفعت جين الباب واندفعت خارجة محتتمي بالنعيل وهي تشعر بالاعياء.

كانت ترتجف وتهاوت قدماها. سمعت بشكل حافت مبهم صوت ارتطام باب سيارة. فكرت أنه على وشك أن يقود سيارته مبتعداً كانت تشعر بقدر هائل من الاعياء حال دون اهتمامها بما يحدث. ونولعت ان تسمع صوت المحرك بدلاً لكنها بدلاً من ذلك سمعت وقع أقدام مسرعة ثم جاء صوته قائلاً:

«ماذا هناك هل أنت مريضة؟»

تعثرت ثم استدارت. كانت تحسن بقدميها لتسويان بيننا كانت الأرض تتأرجح وترتعش وفي اللحظة التالية وكان غانن يحملها بين ذراعيه متجهاً الى السيارة

«أنزلي، دعني، أرجوك».

دفع بها الى مقعدها وقال في حزم:

«اجلسي مكانك».

في اللحظة التالية كان الى جوارها وقد غمرها النور الداخلي للسيارة أعطاهما منديلاً وقال:

«امسكي هذا»

من يده الى الدرج الأمامي للسيارة وأخرج زجاجة. فتحها وتشر بعضاً منها فوق المنديل فامتلأت السيارة برائحة منعشة نفاذة، ثم قال:

«والآن، امسحي وجهك فهو سيبردك كثيراً»

امتثلت جين وصحت وجهها بيدين مرتعشتين فصدمتها البرودة الحادة لتعيدنا الى حالتها الطبيعية.

«شكراً لك».

تبدلت لهجة غانن ، فصار موضوعياً، واختفت النغمة الغامضة من نبرته. سألتها وهو يرتجفها،

«لماذا لم تقولي لي إنك تشعرين بالغشيان»

نظرت الى وجهه وقد مال نحوها وقالت:

«كنت أظن أنك تعلم، لذلك كان سبب صعودي الى الطابق الأعلى للاستلقاء»

«ومن أين لي أن أعرف؟ لقد ظننت أنك صعدت لكي...»

وسكت متردداً، وأحست جين بوجهها يلتهب. فساءلت:

«ماذا كنت تفكر؟»

«ظننت أنك ذهبت لموافاة كولن».

وأضاف عندما أطلقت شهقة لا إرادة:

«إني أعذر. أدركت الآن مدى خطأي، ولكن لماذا لم تقولي لي أنت أو كول».

أناحت جين برأسها ولد أفكت معها شهقة مكية وأحسّت بضياح وجرج وأحيراً استطاعت أن تنطق بصوت مرتعش
«هذا ليس مهماً أرجوك دعنا نواصل رحلتنا الآن. فأنا أشعر بحسن»
«لن نستأنف الرحلة وأنت تكيين»
«أنا لا أهيي».

«هبق السهائم حاول أن تتوقف عن اليكاه. لقد اعتذرت لك».

مسحت وجهها بالمدبيل وقالت ببرة تكاد تكون طبيعية
«أرجوك أود لو يذهب الآن فأنا متعبة جداً».

في ذلك الضو الحادث حيل إليها وكأنها رأت شيئاً ما في وجهه أحال
جسمها إلى شعلة ملتهبة وكأنها واقعة تحت تأثير مغناطيسي، نظرت
إلى عينيه، كانت داكنتين فيها ظلال أحدثها ذلك الضو الذي بدا
كبحيرة صغيرة سمحت تزد انعاسه، ورأت صدره يعطر ويحيط وذلك
التجويف الداكن (الظلال في أسفل عنقه، بهذا كان وجهه المائل داكناً
مكتمل الرجولة كانت لدى جين رعية جارية في أن غد يدها وقسم
شغيبه بأناملها، بل إنها أحسّت بالفعل وخزاً خفيفاً وكأن المكرة تمحزلت
إلى واقع ضغطت على يدها محاولة استعادة حالتها الطبيعية
قال لها في رلة:

«أرجعي رأسك إلى الخلف وحاولي أن تسريحي. لن أسير مسرعاً.
امتثلت لما قاله. وأحسّت بهدو عريب. لمحركت السيارة في يده. تريد من

سرعتها كل لحظة وهو يعودها بعناية في طريق العودة.

أغلقت جين عينها محاولة أن تمخض إلى النوم، على الأقل لن
يكون عليها أن تتكلم معه لكنها ستحاول التفكير برطم أن الأفكار
تتصارع في رأسها مثيرة للقلق، فقد ظل وجهه الساخر يترأى لها
وأدركت بأنه لم يحبها عندما كانت تتحدث عن استبائه منها، بل كان
يحرص دائماً على تغيير الموضوع أوقف غانن سيارته أمام البوابة
الخارجية للمنزل والدها وقال:

«ستطع المرسماً على الأقدام. أين مفتاحك؟»

فتحت جين حقيبتها وبدأت تبحث عن المفتاح الذي دسّته إلى
في يدها قبل أن تغادر المنزل. قطبت جبينها وبدأت تتحسن بدقة
أكثر في كل ركن وبحركة يائسة سريعة أفرغت حقيبتها، وبدأت
تقلب في محتوياتها فلم تجد أي أثر للمفتاح.

«أناستحيين لي».

قال لها ذلك وهو يأخذ الحقيبة الفارغة ويدس يده فيها متحسماً
البطانة ثم قال

«لا أتر للمفتاح. أنظنين أنه سقط من الحقيبة».

«نعم عندما صعدت إلى الطابق الأعلى للاستلقاء سقطت مني الحقيبة.
نسيت هذا تماماً».

«هل فتحت الحقيبة أثناء سقوطها؟»

«لا أدري. كولن هو الذي التقطها».

نزل غانن من السيارة قائلاً

«نعالي، ستحاول أن تدخل في هلود».

ركضت خلفه وهو يسير بخطوات واسعة في الممر المتعرج الموصل الى المنزل، وهي تمنى أن يجدا نافذة مفتوحة في الطابق الأسفل. لن تنسى هذه الأمسية الثقيلة كالكابوس. حدثت نفسها بذلك في تعاسة وهي تتعثر في صندوق ذي الكعب العالي محاولة اللحاق بغافن.

المنزل يلفه الظلام وسكانه نائمون. أشار لها غافن بأن تلتزم الصمت. حاول فتح الباب الخارجي أولاً ثم بدأ يجرب النوافذ واحدة تلو الأخرى. وعندما اختفى في الفناء الخلفي للمنزل انتظرت جين وهي لا تجسر حتى على الحركة. عاد بعد أقل من دقيقة. أنبأها وجهه بالنتيجة ولم تكن في حاجة لأن تسأل.

دنا منها وقال:

«ليس أمامنا الآن إلا أن نحاول إيقاظ إلن، ولكننا على وجه التأكيد سننقذ والدك أيضاً، وهذا مالا أود أن أفعله. بقي أمامنا اختيار واحد.»

«ما هو؟»

«أن تنامي في منزلي.»

وعندما نطق بهذه الكلمات بدأ يسير وقد تأبط ذراعها مبتعداً عن المنزل، يجنبها بعيداً، حتى يستطيع أن يتحدث بحرية أكثر. تصلبت ثم توقفت عن السير، منتزعة يدها من يده وهي تصيح:

«كلا... كلا.»

«ماذا تقترحين؟»

«ألا يمكننا أن نقذف بعض الحصى على نافذة إلن؟»

«أين غرفة إلن؟»

«لا أعرف. أظنها في الناحية الخلفية من البيت.»

«إذا كنت تطئني أنفي سأقف هنا لأقذف كل نافذة بالحجارة، فأنت مخبئة... وحتى في هذه الحالة ليس هناك ما يضمن أنها ستستيقظ من نومها العميق. لا تنسى أنها تذهب الى فراشها في ساعة متأخرة وتستيقظ مبكرة. تعالي.»

تأبطها مرة ثانية، ولكن بقدر أقل من الرقة هذه المرة حتى وصلا الى السيارة.

استدارت جين قائلة:

«الكراج ليس مغلقاً ويمكنني النوم في السيارة.»

«لا تكوني حمقاء. اصعدي الى السيارة.»

قال كلمته الأخيرة بخشونة وهو يفتح لها باب السيارة وقد نفذ صبره. بعد دقائق كانا أمام منزله حيث كان هناك ضوء متوهج في البهو يغر المر ارتقى غافن السلم راكضاً ووضع مفتاحه في قفل الباب مستديراً تجاه جين التي كانت لا تزال في السيارة.

«تعالي.»

امتثلت جين وهي تحس بالخبرة. ثم تجسدت لدى رؤية ذلك الكلب الضخم، هزذيله القصير بعنف ويقفز عالياً على غافن الذي عرفت الابتسامة طريقها الى وجهه الآن.

استدار قائلاً:

«لن يمسك بأذى فلا تخافي.»

«أنا لا أخاف الكلاب إلا إذا وثبوا علي في الظلام.»

«من الأفضل أن تحببته.»

مدت جين يدها ليتشمسها فجلس أمامها مصدراً أنها خافاً.

وهي تربت على رأسه بحبسة لعيتيه الرقيقتين.

رفعت جين رأسها لتجد غانم واقفاً يرفبها وقد علا وجهه تعبير غريب فأحست بالارتباك، وقد بدأ قلبها يدق بشدة فهي لم تر وجهه على تلك الصورة قبل اليوم.
استدار غانم فجأة قائلاً:

«ساعد فتجانين من القهوة لتناولها في المطبخ»

لحقت به جين بعد تردد. بدأ الموقف كله يأخذ طابع الحلم، يسوده جو غير واقعي حتى وبدأت جين تتسائل عما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

«اجلسي، سأحضر لك قرصين من المسكن للصداع بعد دقائق. لن نحس بشغل في رأسك غداً إذا ما تناولتهما مع القهوة. هل انت جائعة؟»
«كلا، شكرًا»

هل ان ما يحدث الان حقيقي. هل هي بالفعل في منزل ذلك الرجل، على وشك ان تمام في إحدى غرفه. تساءلت وهي لا تنوى على النظر اليه.

«أمل ألا توظف مديرة منزلك»

«لتحاولين أن تعلمي ما إذا كان شخصي آخر غيرنا في المنزل؟»

«أعتقد أن هذا هو ما قصدت بالفعل»

«أنا أسف أن أقول لك إننا وحدنا تماماً. فمديرة منزلي وزوجها يسكنان بيتاً صغيراً في الحديقة»

وضع أمامها قهناً من القهوة الدافئة ووضع جوارها اللين والسكر قائلاً:

«لا تقلقي، فأنا لا أغزل الأطفال»

شبهت جين وقد اشتعل وجهها. ثم تلعثت قائلة،

«أنا لم أفصد»

«نعم لقد قصدت ذلك»

أتى بزيجاجة صغيرة وضعها أمامها ثم سحب متعباً وجلس وقال
«لا تستبطين غضباً هكذا. فمن الطبيعي تماماً أن تسأل وتطعني وقد أجبته، والآن أرجوك ان تسي هذا الموضوع»

ربت على الزجاجاة قائلاً:

«تناولي قرصين من هذا الدواء والشرابي فهو لك. لقد تجاوزت الساعة الثالثة صباحاً، ولست أنت وحده المتعبة»

كانت أفكار جين مشوشة ودهها في حالة اضطراب وقد اختلطت فيه الانفعالات فتحت الزجاجاة وتناولت قرصين. وبعد مرتعشة احست القهوة وهي تلهث قليلاً. كيف يمكنه أن يكون ناسياً الى هذه الدرجة. أفركت كم هي في الحقيقة مجهنة، ثم انحست وربت على ظهر الكلب الراض في جوارها.

«صاحبك الى غرفتك»

ابتلعت جين الجرعة الأخيرة من القهوة. ثم نهضت واضطرت للإسك بالنضدة بعدما شعرت بالعروة تتأرجح. قطب غانم جبينه مستائلاً:

«ألا زلت تشعرين بالاعياء؟»

«كلا، اتني مجهنة فقط»

قادها الى اليهو ثم ارتفيا سلباً. كان كل شيء على درجة كبيرة من

الغمامة، كان الضؤ يعكس في توفج على اطارات المرايا المنعفة
والنوافذ الواسعة العالية وعندما وصلا الى الطابق الأعلى مس فزاع
جين بخفة قاتلاً

«من هنا»

فدھا الى عرفة صغيرة ذات اثاث جميل. كان غطاء السرير أبيص
وقد تناثرت سجاجيد بيضاء على ارض الفرفة.

أضاء النور ثم أشار الى باب في داخلها قاتلاً:

«هناك تجدین حماماً مستقلاً فيه كل ما محتاجين اليه. مستجدين أيضاً
تشكيلة من ثياب النوم في الدرج الاول من متصفة الزيتة سأذهب
لأدخل كارلو وأغلق الأبواب. لذا احتجت الى شيء ماء فيها عليك إلا
أن تطلي»

مشى عائداً الى الباب ثم توقف قليلاً باظراً الى جين التي كانت
تقف قرب السرير.

«ليس للباب قفل لكفي أعذك بأن أحناً لن يزعجك»

«اشكرك»

خرج، وأغلق الباب خلفه في هدوء. أطلقت جين اهة مرتعشة.
جلست في فراشها محاولة أن تستجمع شتات أفكارها. هل يمكن أن
يكون هذا هو الرجل نفسه الذي رأته بعرض رأيه، متسياً في ذلك
المشهد الكريه في المطار؟ وماذا سيكون رأي الحالة دورتي في كل
ما حدث ويحدث؟ لم تجسر على الاستمرار في التأمل توجهت الى
الحمام كان مزخرفاً في رقة وجمال وقد غطيت جدرانها بقرميد أزرق
فاتح، كما ثبت في الحائط حامل للنباتات. غسلت جين وجهها ويديها

وتنظفت أمتانها، وشعرت على الفور بتحسن كبير. عادت مرة أخرى الى
غرفة النوم وأخرجت أقرب ثوب نوم ثم أرخت شعرها وأطلقتته من
ديابيس الشعر الخائفة وهزته بحرية وهي تطلق زفرة ارتياح رفعت
يديها الى الخلف لتفتح سحاب ثوبها، ثم جذبت. لم يحدث شيء. جذبت
مرة ثانية بقوة أكثر، جفلت جين بعد أن شابكت خصلة من شعرها
مع الأسنان الدنيقة للسحاب. دعت في ترم بعد أن تعبت يديها من
المحاولات المتكررة انتظرت لتثنتظ أنفاسها، ثم بدأت محاولة جديدة
دون جلوى. ودعرت. ماذا ستفعل الآن؟

حاولت جين أن تسحب الثوب الى أعلى، لكنه كان محكماً عند
الوسط وبعد بضعة دقائق من الكفاح الصامت المتجهم الذي كانت
تخفى أن تمرق بسببه حامة الثوب الرقيقة استسلمت جين لم يكن
أمامها سوى شيء واحد هو أن تطلب مساعدة غافن وبسرعة، وقبل
أن تخلفها عزيمتها، فتحت الباب ونظرت نحو السلم. قد يكون في
المطبخ وهذا أفضل بدلاً من أن تضطر الى الذهاب الى غرفة بومه.

هبطت جين السلم في هدوء وسارت عبر البهو حتى وصلت الى
المطبخ، وبعد لحظة انتظار تستجمع فيها شجاعته دعت الباب.

لم يكن أحد في المطبخ. انتابها شعور مفاجيء بالدعر كان كل شيء
يسوده الصمت وكأن غافن و كارلو اختفيا توجهت صوب الباب
المفتوح ثم خطت الى الخارج، لم تكن تجرؤ على مناداه، ففضلت
الانتظار وفي اللحظة الثالثة ظهر كارلو يركض بخفة وكأنه يعرب
عن سعاده برؤياها

خطت جين خارجة عن دائرة السور المنعشة من باب المطبخ

وارفعت السمع جاءها صوت البحر اشبه بهمس ناعم يصدر عن
كنائس مجهولة تعيش في تلك الأعماق الخضراء الباردة. ارتعشت وقد
أحسّت فجأة بالبرد، ثم رأت من على بعد غافق يتقدم نحوها.
وبشكل غريزي تقدمت الى الأمام.

«جين، ماذا هناك؟»

«لا أستطيع فتح سحاب ثوبي.»

«تريديسي أن أفعل ذلك بدلاً منك أليس في ذلك مخاطرة؟»

«ابتعت هذا الثوب من محلك. الخطأ ليس خطائي.»

«تعالى الى الضوء.»

«وأمل أن يتم الأمر هنا.»

«يا لك من طغاة حقاً.»

مدّ يده وأمسك بشعرها يدفعه الى الأمام، مسّت يده وحبستها.
فأحسّت برعشة. كان ذلك بمثابة صدمة مفاجئة. تنفست جين تنفّساً
عميقاً، ثم ابتعدت قليلاً أحسّت بأنامل غافق الطويلة عند رقبته
لثوبها، ثم عند الظهر، ثم بدأً لثبها يدق بعنف مخشيت أن يسمعه.
وقفت ساكنة تماماً. غير قادرة على الحركة سمعت همسته المنعجبة وهو
يقول:

«كيف تنظرين مني أن أصلح لك السحاب في الظلام؟»

كانت أصابعه دافئة لمس عنقها وشعرت بشيء من الطمأنينة وهو
يقول في رقة

«أعتقد أنني نجحت لقد كان هناك بعض...»

توقف فجأة فقد حدث شيء غريب. سمعا ضربات أجنحة خنثى

صاحتها صرخة حادة. في حين مر أمامها شبح أسود. استدارت جين
وتثبتت بهتله بفائق وقد أحسّت بذعر مفاجئ.

«انه مجرد حفاش وسبق لك وقتك أنك لا تخافين الخفافيش!»

ولم ترد جين. وحيم الصمت على المكان واستمر قلب جين في
التحديق بصورة رادت من إحساسها بالبرد، وغمر كيانها كله إحساس
غريب لم تكن تتخيله وذلك عندما لمسها عافق اليه
وفجأة وبلفظة ناسبة ابتعد عنها. وبصوت مرتعش قال:
«يا إلهي. أنت لا تعرفين ماذا تفعلين.»

وبينما كانت جين تعف مرتعشة من جزم ما يصطرع داخلها من
وّد فعل غير قادرة بعد على الحركة، استعدت فجأة ذكرى مؤلمة، ما
زالت تحتفظ بفسرتها. ذكرى عن خالتها، عن شيء يماثل هذا الموقف
بشكل ما فقد عادت يوماً من المدرسة وقد ملأته السعادة، نواقة لان
يلعب الحالة دورتي انها فازت بجائزة في الرسم ألقت بذراعيها حول
حالتها، تحتضنها، لكن الحالة دورتي دفعتها بعيداً وهي تصيح في
دهشة وقد رُفّت شفتيها

«ماذا تفعلين بحق السماء؟»

خرجت جين من العربة حينذاك وحيدة وقد أحسّت كم هي
مرفوضة بشكل تعجز عن وصفه. ها هو التاريخ بعيد نفسه. إنها تشعر
بالاحساس نفسه الآن. ملأ صدرها ذلك الألم المألوف، يتصاعد ليصل
الى حنجرتها وقد اوشك أن يجمدها. استدارت صارخة وركضت نحو
المنزل.

تسمع وقع خطواته وهو يتبعها.

«جين انتظري.»

«عني، ابعدي عني.»

استكش جدها خوفاً من التعرض لمزيد من الازدلال. بينما كانت تسير متعثرة في المطبخ.

«انتظري.»

أطبقت على ذراعها يد قوية، ليسقط شعرها على وجهها في موضعي جامعة وهي تتلوى يائسة تحاول تخليص نفسها من تلك اللبسة الصلبة.

«لا تلمسني...»

هل كانت مجنونة عندما سمحت لنفسها بأن تستجيب بهذا الشكل الى لسة ذلك الرجل.

طلت مشيخة بوجهها بعيداً حتى تتهرب من تلك السحرة التي تعلم باماً أنها سترها في عينيه كان يجب أن تعرف ذلك. أليس هو وخالتها على شاكلة واحدة .

لم يكن هناك جنوى. فقد كان أقوى منها كثيراً تهدت ثم ارتفعت غير قادرة على الاستمرار في مقاومتها.

«أنظري الي يا جين .»

رفعت رأسها، وكان فترة عظمى لا تستطيع مقاومتها فدعيتها الى ذلك. كانت عيها ملينتين بالدموع ولقد ابتلت أهدابها الطويلة الحمريرية فأصبح لونها داكناً. انتظرت كلماته أصبحت عيها داكنتين جداً لم يكن فيها أي أثر للسحرة التي كنت تخشاها. لكن كان فيها شيء آخر. قال :

«أنا أسف يا جين .»

انزعجت ذراعها من قبضته وتراجعت وهي تصرخ، «أسف؟ أنا واثقة أنك أسف حقاً - لماذا لا تنفجر ضحكاً؟»

تقدم نحوها فصاحت :

«ابعد عني. اني أكرهك، أسمعني! أكرهك.»

رفعت يدها الى فمها وكأنها تحاول أن تمنع نفسها من الاسترسال. ثم هزعت خارجة من المطبخ

النظر إليه مرة ثانية

«أحضرت لك القهوة»

فزمت مكانها، متصلة، تمسك بالأغطية بقوة حول وجهها الذي
أشاحت به بعيداً عن الباب.

«شكراً لك.»

كان صوتها مكتوماً، لكنه مسموع.

«إنها الحادية عشرة. هل تريد أن تأكلي شيئاً؟»

«كلا، أشكرك. أذهب وأتركني وحدي.»

سمعته يضع فتجان القهوة وبعد لحظة سمعت صوت إنغلاق

الباب. نهضت حين وقد عزمت ألا تبقى أكثر مما ينبغي في منزل

غافن. قعدت دقائق ستخرج من منزله بلا رجعة. وهكذا صار.

عندما وصلت إلى المنزل ذهبت لتلقي والدتها فمكنت من أن تتظاهر

بأنها طبيعية. حياها بولع، مائلاً إلى وجهها المتعب بفرضه قلق، ثم

قال

«ترك لي غافن مذكرة تحت الباب الليلة الماضية أسأل لأنيك لم

تستطيعي دخول المنزل ولكني واثق برغم ذلك أنك شعرت بالراحة في

منزل غافن فهو مضيف ممتاز»

«نعم، إلا أنني لم أستطع النوم جيداً. كان الوقت متأخراً كما أنني

لا أستطيع أن أنام في فراش غريب.»

لكرت في فراشها الآمن ثم قالت،

«أعتقد أنني سأستحم ثم أحاول النوم.»

«استريح كما يحلو لك. سيحضر مالك لتناول الغداء معنا. هل

٦ - المشروع

تعلمت حين في الفراش أرقه بلا حدود أن تجد في النوم ملاذاً فبرغم
أنها كانت منهكة لقوى قاتنا طُلّت بقفلة منبهة. وهي مستلقية وسط
الظلمة سمع دقات ساعة حائط البهو أطل الفجر. حين خلدت إلى النوم
أخيراً

استيقظت على صوت نقرة خفيفة على الباب، وصوت يقول:

«أسمعين لي بالدخول؟»

ظلت مستلقية في فراشها في صراع بين النوم واليقظة. حتى

استيقظت تماماً، ووعت أين هي وكيف وماذا حدث فهدت جاسة

تحركت مفيض الباب بلطف.

«حين هل استيقظت؟»

«كلا» أذهب عني.»

كان صوتها حليفاً لا يمكن لأحد أن يسمعه. وعندما فتح الباب.

استلقت بسرعة على الرسادة وحذبت القفطاء عليها لم تكن تريد أن

يراه. ولم تكن تود أن تنظر إليه وتساءلت عما إذا كانت ستتمكن من

التفتت به أمس؟»

«نعم، إنه رجل ظريف جداً.»

لم تكن تريد أن تفكر في تلك الحفلة المشؤومة، وسيكون ذلك بالمقطع مستحيلًا مع يحيى. ماك. فانت والدنا يريد طبعاً أن يسمع كل ما دار في الحفلة كانت تعرف أنها ستشعر بتحسن بعد النوم، كما أنها في حاجة إلى وقت لتفكر فيه على انفراد.

بعد مرور ساعتين، أحست جين بالراحة والانتعاش وبأنها استعادت حالتها الطبيعية. نزلت وقد ارتدت أحد أثوابها القطنية الجديدة. كان لونه أخضر صارخاً مبرزاً لون عينيها. كان شعرها ممسطاً إلى الوراء في استرسال.

كان ماك يجلس مع أبيها في قنائه ظليل خلف المنزل نهض يحيى قائلاً:

«كنت أقص على أبيك كيف كنت نجمة الحفلة.»

قالت جين ضاحكة.

«لا تصدق يا أبي لقد كان هناك عدد من الحستوات.»

«نعم بالفعل، لكن لم تكن من بينهن مثيلة لك. استأثرت الحستاء سارة جداً لرحيلك مع عانس. هل كان سبب «عيانك» هو تلك الوجبة اللذيذة؟»

«نعم.»

نظر إليها قائلاً وقد تذكر شيئاً

«عشر كؤن على مفتاحك ومعه دثاربي. لاشك أنه سيحضرهما»

«أو نعم.»

تناول الجميع طعامهم في القنائه. جلس جون وماك يتعادثان في وقت قد أعطاها ذلك وقتاً للتفكير. عادت بأفكارها إلى غافن. لم يكن في المنزل عندما نزلت إلى الطابق الأسفل. كان الباب الخلفي مفتوحاً ولم يكن هناك أثر لكارلو أيضاً. تركت له مذكرة شاكرة له ضيافته وانسلت خارجة من المنزل.

ترى هل سيحضر غافن الآن إلى منزل والدنا؟

إن حضر فلعله نسي بالفعل ذلك الحادث النافه. فغافن من ذلك الطراز كان يعتبرها طفلة، أنانية تسعى وراء المال. لكنها في النهاية مجرد طفلة. كم كان سلوكه مختلفاً مع سارة.

لا تزال نظرتة وهو يحيى سارة قبل الحفلة تترامى لجين. كان فيها شيء من العاطفة حتى أنها بمجرد التفكير فيها الآن. أحست بأنفعال عاطفي لا تعرف كنهه تراءى لها من جديد وجه سارة مرفوعاً وهي تتدفق بحبة غدن، سارة يلاعبها الجميلة، واثقة مطمئنة كم هو رائع أن يكون المرء هكذا. أن يكون ممتناً ثقة بالنفس. أن يعرف أنه محبوب.

أزلت الملعقة من فمها وقد أحست أن حلوى اللسنة المخلوطة بالخوخ ذات النكهة اللذيذة تحولت في فمها إلى شيء جاف كريمة المذاق.

رملها ماك للأعلى:

«أمل، ألا تكوني ملتزمة بنظام غذائي معين؟»

فحككت جين من افتعال ضحكة ودلت.

«كلا، لكني لست جائعة.»

هرباً كان ذلك بسبب الطعام الكثير اللينة الماضية.
«أناذمان في؟»

دفعته مقعدها الى الوراء وتوجهت الى غرفتها توفقت في طريقها
كالمعادة لتطير الى لوحات والدها لمحتت برفق لوحتها المختارة ومشت
بأطراف أصابعها ثياباً الألوان الزيتية السمبكة لمشهد طفل وكلبه
يحذنان بانثنيا في زورق صغير وسط بحر هادي.

صعدت السلم وهي تنهد، مطرقة الباب ترتفع وتطرق مرتين بقوة.
تحركت جين في هدوء أعلى الدرج، وولمت بصيرة عن الانظار وقد
سمعت مديرة المنزل تطفطن بغفيتها قلعة من المطبخ. حقق قلبها،
وجهة حلقها، فقد كانت تعلم من الطارق قبل أن تسمع صوته قائلاً
«مرحباً يا إلن. هل جون في المنزل؟»

«مرحباً ياسيد غاس» . كان عليك أن توقظني عندما جئت الى المنزل
مع الأنسة جين.

تشبثت أصابع جين بشكل لاإرادي بنوايزين السوج سمعت
غافن يضحك بدأ قلبها يخفق بعنف، تلاشى صوتهاها تفرججها
وابتعدا في اتجاه البهو لتشتت جين الصعدا.

إنه هنا إذا سيكون عليها أن تنزل وتواجهه. عليها أن تفعل ذلك في
وقت من الأولات، وربما يكون الضغط أخف في حالة وجود صاك
أيضاً ذهبت الى غرفة نومها، مشطت شعرها، ووضعت من جديد أحمر
الشفا لم يكن في وسعها أن تعمل شيئاً لازالة ذلك اللون الداكن
تحت عينها.

ووقفت جين في غرفة الجلوس بضع دقائق محاولة استعادة لفر

من الاصرار الذي أحسنت به مد قليل في الطابق الأعلى. كان يمكنها
أن ترى الرجال الثلاثة في الفناء عن بعد. وقد حجبهم بشكل حزني
حائط يستظلون به. كان في وسعها أن تسمع أصواتهم، أن تسمع
ضحكة غاس فأنشكت أن تدور على عقيبها عاتدة
خرجت جين الى الفناء وقد بدت في الظاهر هادئة ساكنة وإن
كانت ترتجف من الداخل. قالت وكأنها لموجنت بوجوده
«مرحباً يا غافن أشكر مرة ثانية على ضيافتك»
نهض غافن وقال:
«أهلاً بك يا جين»

لاحظت ارتعاشه ما في وجهه وبظرة حائرة - وكأنه كان يتوقع أن
يرأها بصورة مختلفة... راد ذلك من ثقة جين توجهت بحزم مقعدها
وجلست. تجعت في اجتياز أولى العقبات وأصعبها والآن يمكنها أن
تواصل مسيرتها دون تردد.

دخلت إلن لترفع بقايا المائدة، وحلبت جين في صمت تنصت
ان يذهب غافن - ظل يرمقها بين الحين والآخر. لكنها مع مرور الوقت
اكتسبت مزيداً من الثقة في النفس، وأصبحت قادرة على مبادلة النظر
في هدوء.

هدأ الحوار برهة لتسمع صوت غافن يقول:
«كيف تسير مشروعاتك يا مادل»

كانت جين ترتقب وجه مادل بينما كان غافن يوجه اليه
الحديث. أحسنت بالحيرة إزاء التعبير الذي علا وجهه. أجابه مادل وقد
رفع أحد حاجبيه في اهتمام واضح

«أعني مدرسة الحضانة؟ على خير» .

«هل عشت على واحدة تحمل حمل شعري؟»

كانت جين ترقبها وهي تسائل نفسها. لقد كان ماك على وشك أن يقول شيئاً فلها يد طعمه غافس استطرد ماك قائلاً
«لم أعر على أية منظوعة اذ ليس من السهل أن تعثر على منظوعات»

ابتسم لجناة لجين وهي ترقبها فانالا

«لولم تكن جين آتية ال ها في عطلة لآلتها»

تجيج في اثاره حب الاستطلاع لدى جين فردت على بسمته
بسمه أهرط منها متسائلة:

«ماذا كنت متسألتي؟»

«كنت أزع فقط . فأنا لا أحلم»

قطع حديثه ونظر الى غامس بسرعة فاستحثته جين متوسلة
«أرجوك استمر»

«حسنأً . بدأت اعداد دار صغيرة للحضانة خارج بورت بارنريك
لأطفال عمالات مصنع التعليب وهذا يعني أننا سحتاج الى مزيد
من الايدي العاملة» من أمهات أطفال يتراوح أعمارهم ما بين ثلاث
وست سنوات إله مشروع مازال في مرحلته التجريبية صيفان
تخضر يومين في الأسبوع كما أن هناك أخريات شعري موراي
كانت تساعدنا أيضاً لكنها ستتزوج الأسبوع القادم. وهكذا
للمشروع مهد بالتوقف»

هز كتفيه معتذراً عن الاستطرد في الحديث قائلاً

«أن أكثر الكلام في هذا الموضوع خارجو المعدة»

«ماذا يتطلب هذا العمل بالضبط؟»

«الاشياء المعتادة تعليم أولي جداً . ومراقبة الأطفال أثناء لعبهم .
أصبحوا الآن يتوقعون ان المجيء بدلاً من أن يلعبوا في الشوارع كما
اعتادوا فكل أسبوع يتقدم لنا أطفال جدد إن هذا الوضع يذكرني
بكرة الجليد التي تتكاثر كلما استمرت في التدهرج»
«هذا يبدو رائعاً»

استرحت جين وقد انحنت الى الأمام وشيكت يديها وسقط شعرها
التاعم الى الأمام . حاحيا وجهها . نظرت الى والدها . الذي لم يكن يلموته
شيء . وهو يراقب في صمت .
«أنا أروغب في المساعدة»

تلعثت قليلاً وقد رأت تعبير وجه والدها لكنه قال برفق:

«ليس لدي أية نية لمعك إذا كنت ترغبين في الذهاب . لدي إحساس
أنك ستجدين هذا المشروع ممعاً»

ساد الصمت هيبه . وابتكرت جين أن غمون لم ينطق بكلمة
أثناء هذا الحوار . جعلها هذا أكثر تصميماً فقالت:

«وماك» أنا أوة المساعدة . قبل أن أحضر هنا اجزت امتحن العبول في
كلية تدرب المعلمات . وهذا سيكون تدريباً جيداً لي»

ألقي ماك رأسه الى الوراء ضاحكاً وقال

«أنتوين ذلك حقاً؟ أنت فتاة رائعة يا جين . معنى ستأين غداً؟»

«نعم» إذا أردت . هل يوافقك هذا يا أبي؟»

أوما وقد علا وجهه بعض الاغمال ثم مذه رابتاً على يده وقال

«بالطبع يا جين . أنا سعيد بك»

ملأتها كلماته برهج داني. لكنه خبا حين تسامد مالك
فولكن كيف ستصلين الى هناك؟

«لم أفكر في هذا الأمر»

تحدثت غافن قائلاً:

«يمكنني أن أمر عليك في الثامنة وأنا في طريقني الى المدينة، لو كان هذا
مناسباً»

ظرت الى مالك أملة أن يقترح بدلاً آخر لكنه هز رأسه بانسراج
قائلاً:

«أشكرك يا غافن، وفي هذه الحالة سأتركك انا في طريق العودة ومعني
جين»

لم تكن هناك وسيلة للتراجع ليبتها كانت تعرف قيادة السيارة
«شكراً لك»

لم تستطع أن تتمالك نفسها فجاءت سيرتها مقتصرة الى الرقة ثم
أضافت:

«سأتعلم القيادة، حتى أتمكن من أن أفعب بعمري»

قال غافن:

«ليس الأمر بهذه السهولة يا جين»

ظرت اليه، فرأت تلك البسمة المتعالية قالت وعيناها تتخلل
بالضحدي:

«لا أستطيع أن أعرف ذلك قبل أن أحزب، أليس كذلك؟»

هز كتفيه قائلاً:

«أنت محقة، إن سيارتي على بعد أمتار هل تودين أن تتلفي درسا

الآن؟

سعت جين ضحكات والدها و مالك اللاهية كما رأته تلك
البسمة الخاطفة التي ست شفتي غافن إنه يتوقع أن ترفض نظرت
اليه بعينين واسعتين قائلة:

«ألا تخشى أن ألود بك السيارة وأصدمها في أقرب شجرة؟»

لا .

«أنت حر، وعليك محصل النتائج»

لم تعرف لماذا قالت هذا - وكأن الكلمات خرجت من فمها -
أحسّت بالبرودة تسري في معاصليها عندما نهض من مكانه قائلاً:
«اسمعو لي - سأعود بعد دقائق»

دخل الى المنزل دون أن ينظر وراه.

نظر مالك الى جون الذي كان يراقب جين وقال له:

«أتعرف يا جون إن ابتك مائة شجاعة»

«ببأت أعتقد ذلك»

«أنا أسمع يا أبي، لا أحب أن أكون فقط مع ضيوفك لكن -»

«لا تقول شيئاً يا جين، فغافن يستمتع بمثل هذه المشاحنات، أليس
كذلك يا مالك؟»

«نعم، أعتقد أن بطيعة الجميع ولا أشك أنه سيبدو أن ينتهي شخصاً
لا يخاف أن يفسح عن رأيه بصراحة»

متعها صوت وقع أقدام قادمة من أن تحيى عليه رفعت رأسها
لترى غافن قادماً.

نظر غافن اليها قائلاً:

«هل أنت مستعدة؟»

نهضت جين متجهة إلى الخارج وهي أسفة على قبولها لعقد هذا الرجل أي جتون هذا الذي تملكها أبعد كل الذي حدثت، ترفض بالعدو اليه؟

«هل تشعرين بالثورة؟»

سألتها في رقة وهو ينتح لها الباب الخارجي مشيراً لها بالخروج قبله.

«كلا، هل يجب أن أكون مثورة؟»

كانت في الحقيقة مثورة ثرودت وهي تهبط الدرج، بل إنها أوشكت على التعثر - قلل وكأنه أحس بهذا التردد:

«لست مضطرة إلى الخروج معي.»

«ألا يروقك أن أنسحب؟»

طلعت جلستها هذه وهي تصر على أسناتها، واتجهت رأساً إلى مقعد القيادة.

«سنظري لحظة، ستجلسين إلى جوارى أولاً، لاحظيني وأنا أقود، ثم يأتي دورك أراها كيف تدير المحرك واطلقت السيارة وبدلاً من أن يتجهن إلى اليسار صوب بورت باتريك اتجهن ناحية اليمين فتساءلت جين:

«إلى أين نحن ذاهبان؟»

«إلى المطار فليس هناك حركة يوم الأحد ستجدين مساحة كافية لتعلمي القيادة.»

«مساحة بلا أشجار أهذا ماتصيه؟»

ضحك قائلاً وهو يرمقها بنظرة ساخرة:

«يحكك أن تقول ذلك ألا يعورك الردة أبداً؟»

«معك كلاً.»

أنها لم تتعامل بمنح هذه الطريقة مع أحد غيره، كان فيه شيء ما يثير فيها غريزة فطرية للانتقام، لن تنتصر عليه أبداً، كانت تعرف ذلك حتى قبل أن يجيب، خلفت عينيه إلى يديها وقد شكتها بتوتر على حضنها، ثم سألتها ببرود:

«هل أنت دائماً مثورة هكذا، أم أن هذا يحصل معي أنا فقط؟»

حاولت أن تستعيد همزها ثم قالت:

«لست مثورة، أنا أحاول أن أركز تفكيري على ما تفعل لقد طلبت مني أن أريك.»

«أفقد لك اعتذاري.»

كانت تكمن في صوته نغمة ضاحكة، تلك العجزة اللاهية تثير جنونها أنه شخص لا يحتمل، مثل الحالة دورشي، انه دائماً على حق

بعد بضعة أميال سترك لك عجلة القيادة، اتفقتا:

خفص من سرعة السيارة لقد وصلا الآن إلى الحدود الخارجية لأرض المطار المتيق، الذي كان هادئاً ومهجوراً أولئك غلغلن محرك السيارة وقال وهو يهبط من السيارة:

«الآن لتبادل أماكننا.»

زحفت جين إلى مقعد القيادة وأمسكت بعجلة القيادة (التي كان فيها شيء من قلق يديه).

قالت جين محدثة نفسها إن هذا الأمر مضحك. هي أب على وشك

أن أنعلم القيادة على يدي الرجل الذي قررت أن أنحاشاه تماماً، وهو
سيراقب الآن كل حركاتي - وعلى أن أنعمل ذلك طوال ساعة أو أكثر
جلس إلى جوارها وقد مد ذراعه على ظهر المقعد قائلاً
«هل كل شيء على مايرام؟»

تحركت السيارة بأرتجاج في يدي. الأمر ثم بسلامة أكثر عندما
تلمست طرفها إلى محرك السرعة.
«حسناً...»

كان صوته هادئاً وأحسنت حين يجسدها المتوتر يسترحني بينما
كانت تذهن لتعليقاته امتدّت يده مرة وحركت يديها على عجلة القيادة.
كانت لسة صريحة حفيظة لم تدم سوى لحظات.
كانت تمتثل له طواعية دون أي ارتباك أو تردد وأدركت فجأة أيضاً
أنها تشعر بالمتعة

طلب منها أن تتوقف قائلاً
«أحسنت حتى الآن.»

أحسنت حين فجأة وكن قلبها يتربح ثم أعقب ذلك وهج دافئ.
كم هو أمر مضحك هذا التناقض في مشاعرنا نحوه
بعد مضي ساعة توقفاً كانت تنصيب عرقاً وقد أحسنت بألم في
جسده كله بفعل التركيب الذي بذله طوال الساعة المأصبة جلست
ساكنة تنتظر تعليقاته

«استريح الآن، انزلي ومدّي رحليك، فأنت في حاجة إلى فترة راحة.
برلت، وقد أحسنت بمفاصلها محشبة مرتعشة كان يرقها بنظرة لاهية
ثم سألتها بتحفظ:

«أحتاجين إلى مساعدة في السير»

صبت ظهرها المتألم وأخذت تصم أصابعها وتسطها، ثم قالت وهي
تتلثث حولها:

«كلا شكراً، إلى أين نحن قاهيون؟»

«مستريحين، نطهلي من هنا.»

تبعته وقد احتفى وراء كوخ من الأكواخ المجهزة البناء، برميلى
الشكل ذلك الكوخ الذي كان أول شيء تراه عندما وصلت إلى
سلوامنكا.

دخلنا إلى الكوخ المهجور، كان وقع أقدامها على أرض الكوخ
الأسمنتيه يتردد في صوت مكتوم بينما كان يقودها صوب باب في
مؤخرة الكوخ. وجدت نفسها تتسائل:

«ما من أحد هنا هل من المسموح لنا أن ندخل؟»
«نعم»

أجبتها بتبرة هامة تردد صدى نبرتها، ثم أبطأ خطواته وأمسك
بذراعها بطريقة غريبة أحسنت فيها بالحماية وقال:

«هناك مطبخ في المؤخرة فيه ثلاثة علب بالمشروبات والتلج فريدين
مشروباً بالتأكيد أليس كذلك؟»

أحسنت بأصابعه على ذراعها وكأنها كتلة ناز وأحسنت بالارتياح
عندما سحب يده ليمنح لها الباب وقد تراجع خطوة ليدسح لها الطريق.
كانت الحجرة الصغيرة شديدة الحرارة فسال العرق من جديده على جبهة
حين أشار لها أن يجلس في أحد المقاعد فأرقت فيه

وضع كوبين على المنضدة وأخرج علبتين مرطبات من الثلاثة ثم

ألقى عدداً من مكعبات الثلج في الأكواب وفتح العلبتين وقال:
«ليس في التلاجة غير هذا النوع من المربطات.»

هزت رأسها قائلة:

«لا بأس.»

أخذ السائل الذهبي ذو الرغاري ينساق كالسائل على الثلج بينما
كانت جين تراقبه بنهم. أحست وكأنه ألد مشروب تفوقته في حياتها.
أخذ متعدياً لنفسه وجلس فيه وكأنه يغطي سرجاً مستديراً ذراعيه على
ظهر المقعد. أخذ يرقب جين بنظرة تائهة ثم قال:
«أحسنت القيادة هل أكتفيت بهذا القدر اليوم؟»

«سأترك ذلك لك.»

أجابته وهي تزحلق أصبعها على الكوب الثلج. اكتشفت أنها
لا تستطيع مبادلة النظر في ثبات. الأمر الذي كان مثار قلقها.
«أعتقد أنك أخذت كمياتك يبدو عليك الاجتهاد.»

صمت برهة ثم أضاف:

«هل لي أن أطرح عليك سؤالاً؟»

أجبتها السؤال لكنه يادر مستطرداً:

«أريد أن أسألك شيئاً يتعلق بمكانه»

قالت وقد هدأت

«ماذا؟»

«ماذا عرضت أن تساعدني في مدرستي؟»

«لأنني أردت ذلك. هذا العمل يبدو ممتعاً ولماذا تسأل؟»

«أنت الآن في عطلة. ربما من أحد كان يتوقع أن تتطوعي لهذا العمل.»

«وجه الآخر مكتوب.»

١٠٦

عادت إلى ذهنها تلك الصورة، وهم جالسون في العناء في منزل
والدعاء. كيف أن غافن هو الذي أثار الموضوع أولاً. وكيف كانت
النظرة التي علت وجهه ماك وتعمد غافن مقاطعته عندما كان
ماك على وشك أن يقول شيئاً. أحست جين أنها على أهبة
اكتشاف شيء ما. أطلقت زفرة عميقة ثم نظرت إليه متسائلة فقد
كانت في حاجة لأن تعرف.

«قل لي كنت أنت أول من أثار الموضوع. لقد فعلت ذلك بعرضي ما.
ماهو؟»

ابتسم ورفع يده اليسرى في حركة استسلام قائلاً:

«أنت ذكية جداً يا جين.»

قالت بعتاد وقد شددت قبضتها على الكوب:

«وجهت إليك سؤالاً.»

جاء صوته رقيقاً

«نعم كان لي هدف كنت أود أن أعرف إذا كنت مستطوعين أم لا.»

«ماذا؟»

«أرجعي هذا إلى حبة الاستطلاع.»

قال حملته الأخيرة محدقاً فيها وكأنه يتعدها أن تسأله لمزيد

«ظننت أنني لن أنطوع. أليس كذلك؟»

«تصورت ذلك بالفعل.»

نهضت وحذت حفيبتها بشدة من المضدة اجتاحتها غضب مفاجيء.

أحست أنها ستخفق إذا لم تقل ففالت:

«أنا اسفة لأنني حيث ظنك، والآن أريد أن أعود إلى المنزل»

«هل أغضبتيك؟»

قاروت بشدة حتى استطاعت أن تتألك نفسها ثم قالت:

«نعم أغضبتي. من تظن نفسك؟»

«قلت لك الحقيقة فأنا لا أكذب. هل كنت تخمين أن أغضب ذلك؟»

«بأي حق تلطم الناس لمثل هذه الاختبارات؟ أنت متعجرف بشكل

لا يطاق. لقد توقعت أن امثل في محاولة القيادة أليس كذلك؟»

«كلا لم أفكر في الحيلة في هذا الموضوع. وأنت لن تصل إلى شيء إذا

لقدت أعصابك معي.»

أطلقت ضحكة وهي تقول:

«كلا! أنت - أنت تتصور أنك تملك الجميع أن يوسعك أن تفعل ما تشاء.

حسناً، ليس الأمر كذلك معي ياسيد غرائز. فانا لست امرأة صينية

مسنة يمكنك أن تطردها. أؤكد لك ذلك.»

كانت تترجف وقد ملأها رغبة جارفة في أن تضربه النجى نحوها ثم

ولف أمامها مباشرة قائلاً:

«سيدة صينية؟ ماذا تقصدين؟»

«أخافك نسيت. إن هذا لا يدهشني.»

استدارت لتفتح الباب وتخرج من الغرفة الخائفة بهيماً عنه. فمد

يده وأغلق الباب من جديد قائلاً:

«لم نلقه بعد.»

استدارت نحوه ثم قالت في حدة:

«الفتح الباب. لن أسكت هنا معك دقيقة واحدة بعد الآن.»

«هل ستسكتين، إلى أن تفصحي عما تعنيه.»

«رأيتك في مطار جافر تعرض أرمالك على مجموعة من الموظفين وتقع

تلك المرأة المسكينة من أن تستقل الطائرة إلى أين اقتادوها؟ إلى غرفة

التعذيب؟»

في تلك اللحظة انفجر ضاحكاً ثم لما لك نفسه قائلاً:

«يا إلهي هل بدا الأمر كذلك؟ هل أنت جادة حقاً؟»

اكتفت بتحريك مقبض الباب محاولة فتحه كزده على تسأله جذبها

وأدارها لتواجهه وقد أطبقت أصابعه على ذراعها فاندلاً برقة

«أجيبني.»

«أنا لا أود أن أتحدث معك. أرفع يديك عني في الحال.»

«مأصحبك إلى المدونة غداً ذكرني ونحن هناك أن أريك شيئاً.

ومضت عيناه وأصبحت أكثر سواداً وقسوة على التغفلل فيها واستطرد:

«ويعد هذا أنا متأكد من أنك ستراجعين عن كلامك.»

٧ - مفاجأة في المدرسة

عندما ذهبت جين إلى فرانسه حال إجهادها المفرط دون استرسالها بالتفكير فبعد الشجار الذي وقع بينها وبين غالفن أوصله ورحل إلى منزله بعد أن قطعها لطريق في صمت مشحون بانفرتير جاء كولن في تلك الأمسية، وحاول كولن أن يطوعها بدراعيه لكن جين صدمته لم تكن تعرف لماذا بالتحديد، لكن ربما كان ذلك ردة فعل « حدث مع غالفن

كان مالك موجوداً أثناء ردة كولن وقبل أن يرحل طلب من جين أن توصله إلى السيارة تركيز جين في حجرة الجلوس بعيداً وقد استعد قهقهة في لعب الشطرنج مع مالك وبدأ في تحس واضح بأدائها كائناً

«أبعدتك بعيداً إنني أريد من جين أن يعرض نفسه على أخصائي لاجرم الفحوص والاختبارات بلاومة إنه يصعب بنويات شبيهة بشلل مؤقت ولد جرئت معه أدوية عدة لكنني لست متخصصة في هذا اسرع من الأمراض، ربما تجعين في قنعه»

«أعدك يا مالك أن أبذل قصارى جهدي»

ربت على كتفها وقال:

«أنا متأكد من ذلك يا فتاتي كم من الوقت ستقضين هنا؟»

حرفاً شهور، لكنني أعتقد أنني قد أبقي لفترة أطول. فلما أرغب في ذلك، وهو طلب مني أن أبقى.»

«أنا أمل أن تعطي ذلك يا جين فقد تغير بالفعل. رأيت ذلك بنفسك اليوم. إنه رجل وحيد برقم اصددته الكثيرين قبل مجيئك كان يعيش في فراخ حتى لوحاته أصبحت ضعيفة، وتلك مأساة لم له موهبته لكنه الآن يبدأ من جديد، عثر على ابنه - وأصبح لديه من يعيش من أجله وكنت أسرعتعلم القيادة كان ذلك أفضل. لأنك عندئذ ستتمكنين من أن تأخديه في رحلات وبالمناخية، كيف ساردوس القيادة مع غالفن لم أنا أن أسألك فور عودتك، فقد بديت شاردة الذهن قليلاً.»

«غالفن يقول إنني أتقدم على نحو طيب ولكن « أمسكت من الحديث لباورها قائلاً:

«لكنه متعجرف ودكتاتور»

«لم أقل ذلك...»

«ليس هناك حاجة لأن تقول، فيوسعي أن أرى ذلك بنفسك أعرفه أكثر من أي شخص آخر عرفت والده أيضاً لسنوات طويلة نحن متوافق جيداً وأما أخيه وأحترمه فهو مستقيم صادق بمعنى الكلمة وهو رجل عظيم نجدهم إلى جوارك إذا احتسبت إليه لكنني أستطيع أن أرى أحظه، أيضاً اعتمد منذ صغره أن يكون مطاعاً، ربما لم يكن هذا

خطه هو ذلك تأثير المال - ليس على من يملكه بل على من حوله. فهم يرتعدون خوفاً من إعصابه. لكن كومي كما أنت يا جين ولا تدعيه يستأسد عليك.»

«إن أدعه يفعل ذلك. وإن كان هذا من الصعب.»
«حسب أنها تحب ذلك الاسكتلندي الصريح وثق فيه فاستطردت قائلة:

«عشت مع حالي منذ ولادة أمي. وهي شبه غافن لقد عشت تحت سطوتها. ولكن منذ يجيئني إلى هنا أدركت كم كانت على خطأ. أعتقد أسي أفسد منه بسببها. أتعرف ما أعني؟»

«لست طبيباً نفسياً. لكني أعرف ما تقصدين. ستكويين يا جين ذات متعة كبيرة لوالدك وربما لغافن أيضاً.»
«بتلك الكلمات ودعها مالك ضاحكة

في صباح اليوم التالي كانت جين على أية الاستعداد طلب منها ماك أن ترتدي شيئاً سهل غسله فارتدت شورتاً قصيراً لونه أروق. وازلت تنتظر غافن

لقدت لها إلى لطورها دسماً وهي تقول:
«ستكويين مشغولة طوال الوقت يا طعنتي. كل جيداً ستكويين في حاجة إلى كل قوتك.»

سمعت جين طرقة على الباب. فهضت مرة أخرى محاولة الانتهاز من لطورها على صجل.

«لا تضطربي. وفي وسع السيد غافن أن ينتظر لحظة.»
قالت مديرة المنزل هذه الكلمات وهي تتطلع نحو الباب مدعفة في

استياء.

كان غافن يقف قرب السيارة مع إلن. نظر إليها ملياً قبل أن يجيبها بقنور.

قادت السيارة عبر المرصيف بينما كانت إلن ترتجفها. ولوحشت لها ثم استدارت داخلة المنزل.

سأله جين وهي ترتجف:
«وال أين نحن فاهيان؟»
«سرعين بنفسك.»

جاء رده مفتضياً. وأحسّت جين وكأنها قد وضعت كعبها كله في حائل ناهب. فمن الأفضل أن تتم هذه المواجهة بسرعة. قطع عليها أفكارها قائلاً:

«قد تحبب المدرسة أمالك. لكن تجدي هناك سوى نساء وأطفال.»
قال ذلك ثم راح ينظر إليها في املان. فأحسّت بالفضب يحتاجها لكنها تماثلت أعصابها وقالت:

«أنا لا أفهمك.»
«أعتقد أنك فهمتسي. لن تجدي هناك رجالاً لتؤثري عليهم. ثم إن هذا التوروت الذي ترتديه لن يكون له أي معقول.»

صرخت على أسسها قائلة
«هل تتعبد أن تكون طفلاً؟ إذا كان الأمر كذلك فقد نجحت لقد ارتديت هكذا. لأن ماك طلب مني أن ألبس شيئاً سهل غسله.. في كل حال. أنا لست سوى طفلة وأنا واثقة أن هذه هي نظرتك نحو

فلا يهم إذا ما أرتديه.»

لم تكن متفية لرد فعله هذا، فقد تعلقت فجأة عضلات وجهه، وضغط يديه على عجلة القيادة حتى بدت مفاصلها بيضاء من شدة التوتر

ماذا قالت حتى أثارت غضبه على هذا الشكل؟
قال.

«لست في حاجة لأن أذكركمني بملك.»

ثم ساد الصمت. صمت محير مثير للقلق. لقد نجح ردها العفوي في أن يسكته

اخترعت السيارة مياء بورت باتريك، كانت التسوارع ملأى بصاحب الحياة وفزع الألوان، بينما سيطر على السيارة جو من التوتر جعل جين تتخس أن تكون خارجها وسط هؤلاء المارة

تغير طابع الجزيرة بعد أن خلفا وراهما المدينة. فقد أصبح أكثر غرابة. بعد أن دنت الجبل من مرآي البصر. وظهرت الحدود والنباتات الاستوائية المورقة بكثرة حتى قاربت أن تغطي الطريق معه

حيث جين أنفاسها أمام هذا الجمال البري فعي بعض الأوقات قاربت الأشجار من الالتقاء عبر الطريق فيدا وكأنها يبران حلال

لقد أحضر عال. بين كانت الشمس تخرق بين جين وأحر مروع الشجر الكثيلة بوهج أصفر لامع كداس أبطأ غالف من سرعة السيارة،

لرات من حلال الأشجار عبداً من الأنبياء المخففة المستطيلة - سفعها من الحديد المضلع، وقد طلى باللون الأبيض ليعكس الحرارة كانت سيارة مالك تغف في ظل شجرة فأوقف غالفن سيارته وراها قائلاً:

«ها قد وصلنا»

كانت حين تتساءل ماذا يمكن أن يرجعها هنا في المدرسة؟ بدرها قائلاً وكأنه قرأ أفكارها:

«أريد أولاً أن أريك شيئاً»

سار مبتعداً ناركاً حين تتبعه وسط شجيرات كثيفة تعلوها ورود ناعمة ناصعة البياض ذات رائحة قوية. سارت جين خلفه وقد زمت شعنتها في لمحذ دفأة امتريا من أرض حاليه فوصل الى سمعها صوت حرير المياه الذي أكمب تلك البيوت الصغيرة المترصة في

شكل شبه دائري حواً من السحر اصطفت بطول الجدران شجيرات أزهار زاهية الألوان ومروح صغيرة رويت بهاية للمحافظة على حضرتها الناضرة بينما طلى كل منزل بلون زاه، وفتحت النوافذ على مصراعها لادخال أكبر قدر من الهواء

توقف غالفن واستدار ناحيتها مستائلاً دون أن يسم تعبير وجهه عن شيء.

«هل أنت مستعدة؟»

«مستعدة لماذا»

رفع حاجبه في سخرية قائلاً:

«هل أنت مستعدة لتعري ما أسعرت عنه ريدة المرأة الصبية لعرفة التعذيب»

ودون أن ينظر وراه مرة ثانية توجه نحو أقرب باب وطرقه

خلق قلب جين بلوة عندما فتح الباب. فقد تقدمت مجموعة من الأطفال واثين أو ثلاثة من الشباب الصبيين نهر غالفن وأحاطوا

به بيما رأت وجهاً مألوماً يقف في مدخل الباب وقد تصاعدت جلبة من الأصوات جميعها تحيي غانن رفعت المرأة المعجوز يدها بحركة لمحبة ولد علت وجهها ابتسامة عريضة.

تقدمت المرأة إلى الأمام ببطء ثم انحنت وصافحته. استدار غانن نحو جين كانت نظراته ملأى بالتحديق ثم بدأ يتحدث برفقة إلى المرأة التي أومأت ثم أدارت عيني برافتين نحو جين وقد اتسعت ابتسامتها لتكشف عن أسنانها الذهبية.

ثم تكن تتحدث لانكليزية فتولت حفيدتها ترجمة رؤيا على تساؤلات غانن قائلة

«إن جدتي ترغب في أن تشكر لك اهتمامك. فلولا وجود السيد غرات في المطار لما استطاعت المجيء إلى هنا»

يلفت جين ريقها محاولة الالتصام وهي متنبهة تماماً إلى نظرات غانن الساخرة المثبتة عليها حين مضت الفتاة تقول

«نعم. جاءت جدتي وحدها من سابغون - وفقدت نفودها وجواز سفرها. كان موظفو المطار على وشك استدعاء البوليس، لكن غرات طلب منهم العناية بها، وضمن لهم أن يقوم هو بالتحقيق من صدق روايتها»

عندما يصل إلى سارا منكا ثم يعود إلى الاتصال بهم تليفونياً، على أن يترصوا في هذه الأثناء بتقديم الطعام لها على نفقته، إذ إنها كانت تشعر

بجوع شديد بعد أن أمضت ساعات انتظار طويلة في المطار

تصاعدت الأصوات من جديد وبدأ غانن وكأنه يرفض دعوتهم له بالدخول، كانت يدها ترتعشان في حركات معبرة عن الاعتذار وهو

يتقهقر إلى الوراء تصحبه عاصفة من كلمات الوداع. تأبط غانن

ذراع جين ليعودا أدراجها وسط الشجيرات الكثيفة. وفي منتصف الطريق، توقف قائلاً:

«هل أنت مقتنعة الآن بأنني لست كرجلاً؟»

استدارت جين نحوه قائلة:

«لقد طوت بما فيه كفايتك نعم، ماذا تريد مني، هل تريد أن أركع أمامك ألم يكن في وسعك أن تكتفي بأن تقول الحقيقة؟»

قال لها بلطف:

«هل كنت ستصديقيني؟ كنت أريدك أن ترى بنفسك حتى تعبري الحقيقة، وتدركي أن الأشياء ليست بالضرورة كما تبدو»

«ربما كان عليك أيضاً أن تحاول تذكر ذلك»

«لقد قلت شيئاً كهذا من قبل، ماذا تعنين؟»

وقفت في غضب قائلة:

«ربما لكني أريد سماعه منك»

«بدأ عليك أن تنتظر حتى أكون مستعدة لذلك. جئت لأعمل وأنا واثقة من أن مالك ينتظرنى»

راح غانن يحدق في وجهها شعرت فجأة بأنها لم تعد محالة كن إحساساً غامياً في الغرابة، أحست وكأنها تعيش تجربة جديدة، مع هذا

الرجل المنسلط وعرفت أنه هو أيضاً أحسن بانسيء نفسه، ذلك الشيء الذي لا يمكن وصفه.

استدارت جين وواصلت المسير، كانت تعرف أن شيئاً قد تغير في تلك اللحظة.

رأت جين المدرسة، كان الأطفال قد وصلوا بالفعل فصحبها

مالك اليهم. بناء المدرسة مماثل للأبنية الأخرى التي رأتها منذ ليل
مخففة مستطيلة خشبية ذات سقف حديدي مضلع قابلتها سيدة
لطيفة وقد تبعها أطفال يرتدون زياً موحداً كانت بشرتهم يلمون
الصل. عيونهم سوداء. وقد هدوا جميعاً مبتلين سعادة.

بادرت السيدة قائلة قبل أن يكون لدى مالك فرصة لتفقيها:

«اسعي أن موراي. سعدت بلفاتك.»

صاحتها جين ضاحكة وهي تقول:

«أسفة إنني لا أعرف شيئاً عن مدارس الحضانة.»

«لكنك ستتعلمين أنا واثقة من ذلك.»

نظرت السيدة موراي الى ما ترتديه جين بظفرة استحسان
قائلة وهي تشهد

«كنت أود أن يكون في وسعي ارتداء الثوب لكن زوجي يقول إنه
ليس مناسباً لسنني.»

قال مالك مداعباً:

«إنه يخشى أن يلتصق الرجال حولك إسعاً بالرحيل فلدي عملية
جراحية في المدينة، سأعود في وقت آخر.»

تلقت السيدة موراي حوها قائلة:

«تعالى معي يا أنسة تجول في أرجاء المدرسة»

تضاحك الأطفال في مرح، وركض بعضهم الى الأراجيح بينما وقف
البعض الآخر يراقب في صمت. تلمّعت نحو جين طعنة صغيرة ولد

وضعت اصبعها بثبات في فمها ثم أخرجت اصبعها من فمها والمنة
نواحيها الى أعلى نحو جين وهي تقول

«من لظلك إجليني.»

التحت جين ورفعت الطفلة الصغيرة بين ذراعيها فبهتت
السيدة موراي قائلة:

«هذه هي ميلاني ستطلب منك أن تحملها طوال اليوم فإذا لم
تكوني حازمة معها فإن لراعيك ستعيبان.»

طوّلت ميلاني عنق جين ضاحكة بيد متخفة قليلاً، فمرلت
جين ماذا كان يعني مالك عندما طلب منها ارتداء ملابس سهل

لسلها. ودلت الطفلة:

«أنا أحبك. أنت صديقتي.»

في فترة الظهر أحضر رجلان أوعية طعام ضخمة من منتصف
العمال، وجلس الأطفال الى الموائد يأكلون وتناوت أن و جين

وجبتها مع الأطفال.

وبعد ذلك حلد الأطفال الى الراحة وأطلقت أن زفرة ارتياح بعد
أن وضعت آخر طفل في سريره ونظرت الى الأسرة الصغيرة المصطلة

وقد رقد في كل منها وجه صغير نظرت الى جين قائلة

«أمامنا ساعة للراحة، تعالي، لنتناول قهوة مثلجة وننحن سيكارة تحت
تلك الشجرة لننحن في حاجة الى قيلولة قصيرة.»

جلست أن و جين ثرثران في تراخ تحت ظل شجرة مثوية
ضخمة كانت أوراها تصدر حفيفاً وسط نسمة خفيفة. سمعت جين

صوت سيارة تتوقف بعيدة وتساءلت إذا كان مالك لد عد ثم
نسيبت الأمر عندما بادرتها أن قائلة:

«يجب أن نحضري حفلة الزفاف يوم السبت.»

«هذا كرم منك، أشكرك، هل سيحضر والذي الحفلة؟»

هزت أن كتفها قائلة :

«لا أعرف بعد، ماك سيخبرنا بذلك ولكن حتى لو لم يحضر، يجب أن تأتي أنت. غافن يمكن أن يحضر، أما واثقة من ذلك.»

«شكراً لك سأحدث ميغان بذلك حين أراها.»

مر الوقت بسرعة وبدأ الأطفال يستيقظون بأدائها جين متسائلة:

«هل يعمل أباء الأطفال جميعاً في مصنع التعليب؟»

«نعم، أو في مجمعات تخزين لباب جوز الهند لكن لدينا مشروع تصدير لباب جوز الهند وليته المستخرج من القشرة الخارجية وهو يستخدم في صناعة الحصى وأشياء أخرى. وعندما يتمشع المشروع ستعود إلى تزويد المدرسة بهيئة من المدرسين المتربين. فالمدرسة ما زالت في مرحلة تجريبية، ولذلك فغافن لا يملك إلا أن يقبل مساعدة عدد منا كلها أمكننا ذلك - وسعى نساعد بأن نخدمه فهو بذل الكثير من أجل سلامتنا وكل فرد فيها.»

«تقصدين ماك، إنه...»

قاطعتها أن وهي تضعك في دهشة:

«كلا لا أقصد ماك بل غافن فإن كل هذا ملك له وحده.»

لم تستطع جين أن تستوعب ما قالته أن بعدة دقائق حيث وللت بحمالة في ظهور، ثم قالت في بطل:

«لست أفهم تصورت أن هذه المدرسة ملك لماك.»

«نعم، يمكنك أن تقول ذلك فيها فكراً في المشروع معاً ألم يخبرك أحد بذلك؟ إن المصنع ملك لغافن كما كان منكاً لوالده قبله وماك

يقدم له النصح فيما يتعلق بالشؤون الصحية والتأمينات وشروط العمل فمكنا من رفع مستوى المعيشة في الجزيرة بشكل ملحوظ مما مكّن الأمهات أن يعملن هنا وهن واثقات من أن أطفالهن في أمان.»
لم تكن جين تصغي إليها تماماً. لقد عادت إلى ذلك الحوار الذي دار في بيت والدها. وعرفت الآن لماذا قاطع غافن ماك في تلك اللحظة ولما بعد، عندما كانا في المطار، كان في وسعه أن يقول لها الحقيقة لكنه لم يفعل.

دخلنا إلى المدرسة وبدأنا نرتطان من بني نائماً من الأطفال. ففرت ميلاسي وانجهدت نحو جين ثم دست يدها الصغيرة في يد جين ابست أن قائلة:

«أصبحتنا صديقتين.»

«إنها فتاة طيبة.»

«سأدعك تكتشفين ذلك بنفسك»

جلست جين تلعب مع الأطفال في ملعبهم، ثم تذكرت كلمات أن تلك فغللت حولها لتأكد من أن كل شيء على ما يرام بهتت مسرعة وقد استدارت صوب المدرسة متأدية:

«ميلاني؟ هل هي عندك؟»

ظهرت أن في مدخل الباب قائلة:

«كلا، هل حدث هذا مرة ثانية؟ متى رأيتها لآخر مرة؟»

«منذ دقيقة واحدة، كانت تلعب في حفرة الرمال.»

«جربي هذا الطريق بينما أبحث عنها وراء المدرسة.»

ركضت جين مسرعة نحو الطريق وسط شجيرات مشابهة وقد

غمرها دُعر مفاجيء. اكتسى المكان بالعتيب - فكان يمكن للفتاة الصغيرة أن تكون في أي اتجاه دارت حول نفسها ثم هوت وقد أحتت بالدفار بعد أن تعثرت لدمها في نهات متساق.

نهبت متجاهلة لألم في كاحلها وركضت وهي تنادي صارخة.
«ميلاني، ميلاني أين أنت؟»

توقفت فجأة بعدما اقتربت من الساحة الأخرى المؤدية الى المصنع التي كانت تظف فيها سيارة ماك. لكنها لم تر سيارة ماك. بل كانت سيارة غافن وقربها رأت وجهين مألوفين استوعبت جين ذلك المنظر في ارتياح معافي. لم تعرف في تلك اللحظة أن منظر هذين الوجهين سينطبع في ذاكرتها الى الأبد.

كان غافن صحيحاً ليحمل ميلاني رأت ذلك الرجل الطويل اللغامة وهو يزرجع الطفلة الصغيرة الملتئدة. كانت تسمع صراخاتها الضاحكة كما سمعته يقول:

«أين أنت ذاهبة يا ميلاني؟»

رأى جين فجأة، فتوقفت تعذمت نحرها وهي تجعل من الألم كلاً وضعت قدمها اليسرى على لأرض تقلص وجه غافن عندما خفض نظره الى قدمها فبادرها متسائلاً:

«هل كنت تركضين؟»

«نعم، أشكرك لأنك أوذنت ميلاني وعني أعيدها الى المدرسة»
«من الأفضل أن أفعل أنا ذلك فأنت لا تبدين على ما يرام هل تؤلمك قدمك؟»

«كلا»

كانت تكذب، واستدارت عائدة. كل خطوة كانت عذاباً لكتفها كانت عازمة على ألا تجعله يرى ذلك
ظهرت أن ورأت جين فحملت فيها قائلة:
«ماذا جرى لك؟»

قال غافن:

«أعتقد أنها في حاجة الى بعض الاسعافات الأولية»

انزل ميلاني من بين ذراعيه قائلاً:

«اذهي أيتها الفتاة الشقية، لا تهربي مرة ثانية والا هربتك»

أحدث ميلاني تلفز بعيداً وهي تقهقه، ثم ركضت لتندم إلى رفاقها

تقدمت أن نحو جين أحده بذراعيها وهي تقول:

«أجلسي في الداخل، سأذهب لأحضر ماء مشجاً لوبك شاحب»

امتثلت جين في صمت فلم يكن أمامها خيار برعم احسانها بوجود غافن، فهي تعرف انه ليس في وسعها أن تظل واقفة كيلا تعرض مرة اخرى للعثيان.

سمعت ان تقول شيئاً لغافن بصوت مرتفع، لكنها لم تمي البكبات، ثم وجدت نفسها جالسة في أحد مقاعد الأبطال الصغيرة. قالت أن:

«تؤرم كاحلك كبسولون، يجب أن يحضر منك ليري قدميك ألا تنظن ذلك يا غافن؟»

ركع أمام جين ثم رفع رأسه مؤيداً كلام أن:

«نعم لكن أماننا بعض الوقت قبل ان يحضر، سأصمد الجرح أولاً،

أين صندوق الاسعافات الأولية يا آنـ

احتفت أن في حجرة مخزن صغيرة فقال غافن بركة:

فلماذا أنكرت أن كاحلك يملك عندما سألتك؟

«أنا لا أحب استشارة شفقة أحد»

هبط على شفتيه قائلاً:

ولم أقل أنك كذلك ولكن كم أغنى لو لم تكني .

لم تعرف لك ماذا كان ينوي أن يقول إذ في تلك اللحظة دخلت أن

حاملة الاسعافات الأولية.

كانت يدا غافن رشيقتين سريعتين وهو يقصد كاحل جين

بمهارة احتلقت مشاعر جين بين احساس بالراحة بعدما حفف

الضهاد البارد الامها وبين الخوف من ذلك الاحساس بالاضطراب

الذي أحدثته لمسة يده.

قالت بعد أن انتهت من تضميد قدمها:

«شكراً»

«هدأ من دواعي سروري من الأفضل أن أصبحك إلى المنزل. أليس

كذلك؟»

«كلا شكراً. أفضل أن أبقى مع الأطفال انصبر عليهم حكاية»

«كما تشائين يا جين. لم تنب سوى ساعة واحدة فقط على موعد

انصراف الأطفال»

رفعت أن يدها الى قمها قائلة

«يا إلهي. يجب أن أعطي الأطفال الحليب»

«سأقول الأمر عنك»

عاد غافن و ان بأبريق من القهوة المشبعة ووعاء كبير من

الحليب. وبعد أن قدما الحليب للأطفال الذين اصطفوا استجابة

لتعليقات غافن. جلست جين و أن وتناولتا مشروبهما الملح

أما غافن فقد ظل في الخارج

همت أن قائلة

«إنه رائع مع الأطفال. أتعرفين ذلك إنهم يفعلون أي شيء من أجله»

لم يكن في وسع جين إلا أن توافق على ذلك وهي ترتب الأطفال

يتناولون غافن في هدوء اكوابهم الفارغة.

«إنهم يطعمونه. لأنه يرعاهم»

ندمت على ما تفرغت به في الحال. وضحكت أن قائلة:

«لا أعتقد ذلك فهو عندما يجيء الى هنا يختلف تماماً عما هو عليه في

عمله. ما يصيح على سجيته أعتقد أنه واحد من هؤلاء لرجال الدين لا

يخشون أن يظهروا بعض الرقة من حين الى آخر معظم الرجال.

يعتقدون أن هذا يتناق مع رجولتهم. أما غافن فلا يهم برأي الناس

فيه»

رشت جين قهونها بهبط لم تكن تريد أن تعرف شيئاً عن وجهه

الاخر لكنها برغم ذلك وجدت نفسها تراقبه وقد انتهى يحدث أحد

الأطفال. منكب على ما يقوله الآخر دون أنتر لتلك المعجزة المعتادة في

وجهه.

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تساءلت فيها جين عما إذا

كانت سارة تاتي الى المدرسة. لم تجد الوقت مناسباً لتسأل. فقد كان

غافن انشغلاً بحمل مجموعة من الاكواب الفارغة الى حوض الغسيل

بالدر أن قائلاً

«سأقيم سوراً حول تلك المساحة من الأرض، حتى لا يتكرر حادث ميلاني».

«إنها فكرة جيدة وسهلة مهمتنا».

«سأعمل على تنفيذها غداً».

نظر إلى ساعته وقال:

«أنا ذاهب الآن لأرتب بعض الأمور المتعلقة بهذا المشروع».

قالت أن وهي تهز رأسها:

«هذا هو غالين، لا يكاد يقول شيئاً إلا ويفعله. من المؤسف أنني لن أكون هنا غداً لأراقبه وهو ينفذه».

عاد غارس بعد قليل ومعه اثنيان من سكان الجزيرة يحملان بحاراً ومطارق رأته حين ران يشير إلى عدد من المواقع ويخطط بالمصافي الأرض الرملية وسط ابهار الأطفال ثم تقدم نحوها قائلاً:

«انصلي تلغيرياً بالمدينة من مكتب المصنع ستحضر سياره نعل بعد نصف ساعة وفيها كل ما يحتاجه وفي هذه الأثناء سنبداً حفر الأساس، فلذا صحتنا، أهدأ الأطفال عن طريقنا».

وبحركه رئيسية، حلق تبعه وألقى بها على أحد المقاعد كانت بينته قوية فكتفاه كبيرتان بفصلا ب قوية، وسدرة عريضة مغطى بشعر أسود كثيف برت لفلادة لعصبة المدلاء من عنقه وهو يتحرك متجهاً نحو المارح غصت حين بصرف وثنته بسرعة بين يديها ثم شعرت بالرتياج عندما قالت أن:

«بالله من رجل قوى لينة لا غراه لي أن كل نساء الجزيرة يتصين

صدائمه».

قالت جين وهي تعاول الضحك:

«حقاً لكنه مرتبط أليس كذلك؟»

«تفصدين سارة» أعتقد أنها تأتي في المقدمة إنها تسعى إلى ذلك بلا

شك لكن صديقنا غافن طائر مراوغ ألم تلتقي كاي بعد؟»

«كلا، هل كانت في حفلة سارة الأسبوع الماضي؟»

«كلا، فهي لا تشيادلان الحديث لأسباب واضحة بالطبع كاي

ستحضر حفلة زفاف شيرلي ويمكنك أن يلتقيها هناك».

ظرت جين إلى حيث بدأ غافن عملية الحفر فقد كان ذلك

أمراً سليماً بالفعل، كان يعمل بحركات قليلة سريعة تكشف عن

قمرته

تساءلت جين قائلة:

«فلماذا يفعل هذا بنفسه أتصور أنه يستمتع بمثل هذه التمرينات، فقد

كان رياضياً قديماً قبل أن يموت والده ويتولى هو كل مسؤولياته».

أعتقد أنه يريد أن يحفظ بظهوره كما أن العمال يتقانون في عملهم متى

وأوا رتبهم يشاؤهم فيه».

«قال لي مالك إن غافن يعرف كيف يقاتل، ولكن لم يقل لي

كيف كان ذلك؟»

«تلك اللعنة انتشرت في الجزيرة كلها في ذلك الحين، بعدما تولى تبعة

المصانع اثر وفاة والده مباشرة، كانت هناك بعض المشاكل بين العمال

ثم تطورت إلى عراك، ووصل مالك و غافن عندما كانت المعركة

في أوجها ألقي غافن نظرة خاطفة، ثم رفع احتيازه على زميعي

المجموعتين المتصارعتين، خاض في الكتل المتصارعة وسط اللكمات المتطابقة وفي لحظات أودعها الوعي، ففترق الجمع تلهوياً.

كانت عينا جين مشيتين الآن على غافن الذي لم يكن يدري طبعاً أن الحديث يتناوله أحست جين، بأنها بدأت تعجب بالفعل بشخصية غافن كل يوم تسمع شيئاً جديداً عنه يجعلها تكتشف مراميها ومدى ما يتمتع به من نفوذ في الجزيرة، نهضت جين، وقد أحست بالقلق فجأة، حطت بهطه وحرص صوب الباب توقفت لحظة على وشك أن تعود أدراجها بعد أن أحست بعيني غافن مشيتين عليها، في تلك اللحظة سمعت رنين الجرس يدعو الامهات إلى تسلم اولادهن.

كان غافن يمرر الجاروف في الأرض الصلبة ويتقدم نحوها قائلاً

«انتهى يوم عملك، هل أنت سعيدة؟»

نظرت اليه جين بهمة قائلة:

«لقد استمتعت به.»

«هل ستأتين مرة ثانية؟»

«نعم، لذا لم تقل لي أن هذا المشروع ملكك!»

«هل عرفت؟»

«نعم.»

«حاولت الوقوف، فامتدت يده لخدمة تمسك بذراعها، أحست بالاضطراب فابتعدت قليلاً وهي ما زالت تنظر اليه.

«تصورت أنك لن تقضي مساعدتك إذا عرفت ذلك.»

ثم أضاف في رقة.

«هل كنت ستقدمين مساعدتك؟»

«لا أعرف.»

فكثت لولم تكن أجابت بهذه السرعة.

«ألم أقل لك إذا...»

ولجأة توقف عن الكلام ثم قال:

«سمعت شيئاً، إما أنه الاتوبيس أو أن الأشياء التي طلبتها للسور وصلت، اسمحي لي.»

سار بخطوات واسعة نحو الطريق ثم جاءت أن ودلت:

«إلى أين ذهاباً؟»

«ليري من الذي وصل.»

ظهر ماك وسط حشد من النساء، بنشاب زاهية الألوان يثرثرون ويلوحون لأطفالهن. ثم ذهب الجميع ليسود الصمت.

تلفتت أن حولها قائلة:

«انقضي يوم آخر يا مالك. أدت جين دورها جيداً.»

«كثت أعرف أنها ستفعل ذلك.»

نظر ماك إلى قدم جين وقال:

«ماذا كنت تلعين يا سيدتي الصغيرة؟»

«كنت أطارد ميلاني ثم زلت قدمي.»

«يبدو أنها صمدت جيداً. سأراه عندما نصل الى المنزل هل أنت

صاعدة للذهاب يا جين؟»

ابتعدت جين و مالك عن المدرسة وريداً. لم يكن هناك أثر

لغافن . وعندما اقتربا من سيارة مالك ، كان يقف يتحدث مع
سائق عربة نقل وعندما وأهيا تقدم نحوها. نظر الى جين قائلاً في
هس:

«شكراً على مجهلك، أنا أفتر مساعدتك.»

كانت كلثاته هذه المرة لها وحدها. وكأن مالك غير موجود. لمحت
جين شيئاً في عينيهِ. شعرت بالدفء والاطمئنان. تبادلوا كلمات
الوداع ثم استقلت جين سيارة مالك أسك غالفن بباب السيارة
كحي مجلس ثم أخذ يتحدث مع مالك في الجانب الآخر من السيارة.
كانت تسمع صوتها لكنها لم تفهم شيئاً سيطرت على مخيلتها النظرة
الحانية في عيني غالفن تشئت جين بعقبة يدها وأحسّت برغبة في
البكاء من دون أن تعرف لماذا.

٨ - التحول

مر اليرمان الثاليان بطيئين فلدت جين شهيتها للأكل فأرجعت
ذلك الى حرارة الجو والألم الذي تحسّه في كاحلها.
اقترب موعد حفلة الزفاف. وفي أمسية يوم الأربعاء كانت مجلس
مع أبيها في طرف الحديقة. على مرأى من البحر بعدما صبّ نسيم
منعش رطب الجو. كما ينتظران ميعان و كولن على العشاء.
قررت جين أن تكون بالغة الرفة مع كولن فهي مجده لطيفاً كما
أنها تعرف أنه متعلق بها هذا الشعور كان كافياً لاسعادها لو أن
عاطفتها لم تتبدل أما الآن. وليسب لا تعرفه قدماً فهي تمنى لو لم
يكن متعلقاً بها. لم يكن في وسعها أن تفهم مشاعره أو تحلها
تساءلت لماذا لم يأت غالفن لرؤية والدها منذ الأحد الماضي هي لا
تبانى بالأمر. لكن كان عليه أن يحضر ليرى ماذا جرى لكاحلها غير
أنه لم يحضر وقد قلّ هذا الخاطر عالقاً بذهنها بادرّت أنها قائلة:
«هل سنذهب الى حفلة زفاف شيرلي يا أبي؟»
«نعم. لأن وأنت معي. أعتد أنني سأذهب. سنسأل ميفان اذا كان

ممكناً أن يذهب معها، أعتقد أنها وصلت مع كولن

أقبلت مبعدة ومعها كولن وتبادل الجميع تحية ودية. جلس

كولن الفرصاء قرب مقعد جين وباترها قائلاً:

«كيف حال كاحلك. هل تحسن الآن؟»

«تحسنت كثيراً. كنت نتحدث الآن عن حللة زفاف شيولي.»

«هل ستذهبان؟»

تدخل والدها قائلاً:

«نحن نأمل أن نذهب. كما نأمل أيضاً أن ينطرح أصدقاء طيبون بنقلنا

إلى هناك.»

ردت ميمان بسرور:

«سنكون سعيدين بذلك. فلماذا ستزددن يا جين؟»

«لم أفكر بعد.»

قاطعها أبوها:

«هذه ليست مشكلة. يمكنك أن تشتري ثوباً.»

بادرت جين قائلة:

«ولكني لا أستطيع.»

قاطعتها ميمان:

«أعترف ذلك. لنعد لك ثوباً بالشرايط الحصرية المعروفة في

سارامانكا.»

احتجت جين قائلة:

«لا يمكنك ذلك، فهذا يستغرق وقتاً طويلاً.»

«اليوم لأريعاء سنشتري غداً كل ما يلزمنا وسيكون الثوب جاهزاً يوم

الجمعة.»

نظر إليها والد جين بود قائلاً:

«إن حياكة ميفان معروفة للجميع. أنا أحسن ذلك.»

«هذا كرم منك يا ميفان لكن هل أنت واثقة؟»

«كل الثقة صباح غد سأصحبك تشتري كل ما يلزمنا من محمل

خافن.»

«من يتحدث عني؟»

التفت الجميع لهجتوا خافن ومعه كلبه.

فجأة شعرت جين بأنها تريد الفرار إلى مكان ما. إلى أي مكان

بعيداً عنه

بدأت ميفان تعيد سرد ما كانوا يتحدثون عنه وأجحت جين

بانسحاب كرسي الصامت من جوارها بينما أرقى كارلو بإسرها

مكانه دافعاً أنفها للطب في يد جين ربت على رأسه بينما كانت

تصلي إلى غافن:

«جئت أطلب خدمة من جين. ولكني لا أستطيع أن اطلب ذلك

الآن.»

«ماذا تريد؟»

جاء صوتها عادياً، أو هكذا بدا. في حين كانت ترتعد من الداخل.

«إن أرى تعمل بفردتها غداً في المدرسة وهي تسأل ما إذا كنت قاهرة

على مساعدتها.»

إذاً هذا هو سبب مجيئه كان يجب أن تعرف نظرت إلى ميمان في

حيرة لهاذتها الأخرى قائلة وهي تضحك.

«الأمم متروك لك يا عزيزتي يمكنني أن أشتري أنا كل ما يحتاج إليه
إذا رغبت في ذلك».

تدخل غافن قائلاً:

«استطيع أن اصحب جين إلى المحل في الثامنة صباحاً لنختار ما
نريده هذا إذا كنت ستذهبين إلى المدرسة يا جين»
«أنا مستعدة للمساعدة».

فكرت جين وهي في فراشها بأن غافن يصل دائماً إلى
أغراضه. حدث الأمر بشكل طبيعي لكنها الآن أدركت كيف أنه
يحقق أهدافه بسهولة. فالجميع يوافقون بحماسة على مخططاته. أخذت
تنقلب في فراشها بقلق وقد سيطرت عليها فكرة واحدة وهي أنه
سيصحبها إلى محله ثم إلى المدرسة وقد وافقت على ذلك صاغرة. كيف
حدث هذا وهي التي قررت أن تتجبه.

وجعل أن تستلم للنوم كان وجه غافن هواجر رؤية لفرص نفسه
عليها وجه غافن بالصورة التي بدا عليها عندما كان منحياً على
وشك التقاط ميلاني بين ذراعيه فقد بدا مختلف تماماً

في الصباح، عندما كانت ترتدي ثيابها وتخطو شعراً أدركت أن
مقاصها في سارامسكا لم يدم أكثر من أسبوع للند بدا ذلك
مستحيلًا. فهي تحس أنها عاشت هنا منذ زمن بعيد وكان الجزيرة باتت
جزواً لا يتجزأ منها لربما سيكون عليها أن تختار. وهي ليست واثقة
بعد مدد سيكون اختيارها فهي تود البقاء مع والدها، لكنها لا تزال
متردة. وهناك احساس غريزي دفين بحب البقاء يؤكد لها ضرورة
الرحيل، قبل أن يفلت الأولاد، لكن أوان ماذا؟ انها لا تدري ولا يمكنها

أن تتكهن به؟

استيقظ والدها مبكراً وقد بدا وجهه مستريحاً مليئاً بعبودية لم
تشهدا من قبل. حيّاهما ثم بادرها قائلاً:
«أعتقد أنني سأخرج للتريض قديماً اليوم. لأننا أشرقت بتمسح ملعوس»
«هل أذهب للتريض معك؟»

«كلا، لهم يحتاجون إليك في المدرسة - أنا سعيد لأنك ستذهبين»
لم تعرف جين ماذا تقول. كلماته الصادقة الهدئة مجعنة عاجزة
عن الرد حبها يتعاضد يوماً بعد يوم لوالدها، إنها تشعر بالندم على
السنين التي تضيئها بعيدة عنه ربما كان القدر هو الذي أخر اجتماع
الشمس ربما كان الآن هو الوقت الأفضل لذلك. قالت:
«أرى أنك تبدو أحسن حالاً الآن إنني سعيدة بذلك»
«هذا بفضل تأثيرك يا جين. فانا الآن لذي من أعيش من أجله. لذي
من أقول انه منكبي وأنت كما تفتيت أن تكوني قماماً»
«شكراً».

لم تزد على ذلك بعد أن خنقتها مشاهرها ثم قالت:
«علي أن أستاذ. لغافن آت بعد قليل».

ذهبت إلى غرفتها بمحاولة بلا جدوى لجم دموعها. لا تريد أن يراها
أحد على تلك الصورة وبالفعل عندما سمعت صرخاً على الباب
كانت قد تمكنت من خالك نفسها.

كان يسير الآن صوب بورت باتريك نظر إليها نظرة لسهولة
وقال

«هل تشعرين بتحسناً في قدمك؟»

«نعم، شكراً»

تبدد الآن ذلك الشعور الغريب الذي أحسّه تحسوه يوم الاثنين الماضي، وعادوها التوتر يبدو أنه أحسن بذلك أيضاً. قديماً الحديث عن المدرسة بنبوة موضوعية وكأنه يتحدث مع شخص غريب. كان يبدو جلياً وقد ارتدى قيصاً من الحرير عذبه بشرائط حريرية مطرزة بدلاً من الأزرار، تذكرت جين كلمات أن إن نصف فتيات الجزيرة يسعين وراءه. أحسّت بالسعادة لأنها لم تكن واحدة منهن.

حضر لها خاطر مفاجيء، ترى لماذا طلب منها الذهاب إلى المدرسة، ربما هو يأمل في أن.. تصلّت جين في مقعدها بعد أن داهمتها فكرة مخيفة فهي لا تتحدث بالرجال، خاصة المحاربون من أمثال غافس. كانت الشالة دورشي تشعر بمتعة دائمة في تحذيرها من أن جميعهم سواسية، يسعون وراء ما يريدون أن يحصلوا عليه وغافس لا يختلف عن باقي الرجال بل قد يكون أسوأ منهم فقد اعتاد طوال حياته أن يأخذ ما يريد وهو يعلم أنه جذاب وهو يكرهه ورغم ذلك ينظر إلى أحياناً بطريقة ما، كما أن لمسة يده على ذراعي، اندفعت إلى ذاكرتها الآن كل الأشياء الصغيرة التي لم تكن تصي لها شيئاً.

«هل هناك ما يزعجك؟»

التفتت نحوه قائلة.

«لا لا»

لم تقو عينها على مواجهة عينيه خوفاً من أن يقرأ أفكارها كم كانت حمداً. فطلعت في مقعدها وقتت لو لم يحضر معه. كان عليها أن ترفض.

«صرت هادئة جداً»

«كنت أفكر»

هدأت لأن خفقات قلبها السريعة، يجب أن تمالك نفسها وإلا فماذا يبقى لها؟

بعد لحظات وصلا إلى المنزل كان كل شيء هادئاً وكان المنزل مهجور فتمكنت أخيراً من أن تتسدل بنبوة عادية وهما في المصعد، «في أية ساعة يفتح المنزل أبوابه»

«يفتح أبوابه اليوم الساعة التاسعة والنصف، في وسعك أن تلتقي نظرة حولك»

أحسّت بالراحة عندما توقف المصعد، وقادها عبر قسم ثياب السيدات الذي كان يسوده هدوء شامل وقد تمت تغطية الأزياء الخشبية المنتصبة كأشباح سجيئة تنتظر الحرية. احترق غافس الصمت قائلاً.

«سأحضر أولاً الشرائط المطرزة الحريرية»

أخذت جين تتجول وسط الرفوف المليئة بالهياكل ثم قالت.

«من الصعب اختيار المطلوب وسط هذه المجموعة الكبيرة»

«دعيني أساعدك، فأنا أعرف تماماً ما تريد»

قدّم لها بعض الشرائط المطرزة الحريرية قائلاً.

«والآن ماذا تريد من تحتها اللون الوردي أم الأزرق أم الأصفر»

«أرني هذا اللون الأصفر، هل يمكنني أن أراه جنباً إلى جنب مع الشرائط كانت الشرائط رقيقة شفافة تكاد تكون عادية اللون وقد اكتمل منظرها عندما وضع تحتها الحرير الأصفر اللامع تنقست جين

الصعداء وقالت:

«نعم أعتقد أن هذا هو ما أريد.»

«جربيه عليك أمام المرأة.»

كانت جين تراقبه وهو يلتقط ثيابا القماش الحريري والأشرطة.

جذب القماش الحريري قاتلاً:

«أمسك هذا وضعه على جسمك.»

كانت جين تشعر بأحاساس غريب وقد شعرت بأنها تكاد تترج.

امتثلت لكلها دون أن تنبس ببنت شفة أحسنت وكان طوقاً محكماً

يشدد عليها الخناق انحنى والتقط الشرائط الرقيقة

«احترسي بحب ألا...»

وأما أعرف ماذا أفعل.»

جاء صوته هادئاً. كانت خفقات قلب جين عالية. كانت تشعر بقلبيها

وهو يخفق مرتطها بضلوعها عندما استقام غائى وولسع الشرائط

المطرزة بعناية فائقة ووضعها عليها كانت يدها الآن تمسك عنقها

وخصوصاً وهو يحاول أن يريح الشرائط الحريريّة حول جسده. كان

هناك قدر من الحذر في لمسته ورغم ذلك أحسّت وكأنها في حاجة الى

الفرار. أخذت تتحرك في قلق لهاذرها قاتلاً:

«اهدئي. لماذا كل هذا التوتر؟»

رأت صورتها المنعكسة في المرأة. كان غائى واقفاً وراءها وقد

وضع يديه على كتفيها بينما تدلّ القماش الحريري والشرائط فوق

جسدها في رشاقة وجمال. اكتشفت أنها لم تكن تنظر الى صورتها في

المرأة. بل الى صورته هو كان قريباً منها الى حد أنها أحسّت بحرارة

وتنشفت العطر الخفيف الخاص بالرجال المبعث من كريم ما بعد

الحلاقة. فتقلص حلقها حتى جاء صوتها أجش وهي تقول:

«هذا رائع الجبال. أعتقد أنني...»

«نعم إنه رائع الجبال.»

كان هناك شيء في صورته جعلها ترتعش وقلقت أن يعتمد عنها.

استدارت نصف استدارة فتراجع للخلف وأزلقت الشرائط قليلاً.

أمسك بها قاتلاً:

«سأحجزها لك وأسلمها لميفان.»

«شكراً.»

لم تقو جين على النظر إليه. كانت تشعر وكأن رأسها سينفجر من

التوتر الذي عاد يسيطر على المكان.

«هل أنت مستعدة للذهاب؟»

«نعم.»

كان هناك قدر من العراة في سلوكه أثار قلقها كان يبدو وكأنه

غاضب. ماذا فعلت؟

في طريقها الى المدرسة أحسّت جين بأنم في رأسها لم يكن هناك

ما تستطيع عمقه. يبدو أن غائى سارح في عالمه الخاص. كان يفود

السيارة بسرعة. ولم ينظر إليها ولو نظرة عابرة قبضت بأصبعها على

حفيبتها في نعاسة. كان يجب ألا توافق أن يحضر معه ودعت يدها الى

جبهتها المشتعلة محاذة وقلب ذلك الألم التابض نظر إليها وقال بلا

مبالاة

«لماذا هناك؟»

«عدي صدام قاتل، لكن لا تدع الأمر يشغلك»

«هالك أراض مسكنة في المدرسة ذكريني أن أطلبها لك»

«أنزلي أمام المدرسة، وأنا أطلبها»

«كنت أريد أن أدخل معك، لكن لديّ كثيراً من العمل اليوم سأمر بالطبع لأخذك في الساعة الرابعة»

«مالك يمكنه أن يمر علي»

«كلا، لملديه حالة ولادة في وسط المدينة»

رمت جين شفتيها. إنه يبدو وكأنه نادم على إحضارها.

«أسفة لأني لا أعرف أن أقود السيارة انك تضرط لتغيير براجمك بسببي»

«أنا سعيد بمساعدتك لنا وأؤكد لك أن نقلك بالسيارة لا يمثل أية مشكلة بالنسبة إلي»

«أخفاً»

أشاحت بوجهها بعيداً ونظرت إلى المروج الخضراء. كانت تحسن بوخزة ألم في صدرها دفعت باب السيارة قبل أن يتوقف تماماً أمام

المدرسة ثم هبطت وقالت دون أن تنظر وراءها:

«داني اللقا»

سمعت صوت المحرك وقد انبعثت فيه الحياة من جديد كما سمعت

صوت مغير السيارة، لكنها لم تفر على النظر إلى الراء. تلاشى الصوت

متباعداً فتوقفت جين لتتقط أنفاسها لم تكن تعرف لماذا ينتابها

هذا الشعور الآن. لكن لسبب ما كانت تحس برغبة في البكاء أخذت

نفساً عميقاً وهاهوت السير من جديد لتسمع أصوات الأطفال، هنا

العودة إلى الطبيعة هنا يمكن أن نجد نفسها على سجيبتها. فهي متأكدة من شيء واحد. انها لا تستطيع البقاء مع طائر.

مر الوقت سريعاً وجلست أن وجين أثناء فترة الراحة تتحدثان عن حفلة الزفاف قالت أن أن شيرلي ستزوج مواطناً استرالياً وستعيش في بيرث، وقالت:

«أنا واثقة من أنكما ستسجيان معاً يا جين. للأسف أنها سترحل يوم السبت. لنتك حضرت قبل الآن»

وروت جين أسباب مجيئها متأخرة بينما جلست أن تصغي في صمت وقد علا وجهها تعبير غاضب ثم صاحت:

«يا للهول! انه لأمر رائع أن تكتشفي وجود والدك بهذه الطريقة. أن أهلك أصبح شخصاً مختلفاً منذ مجيئك»

مرة أخرى وجدت جين نفسها تفكر في أبيها أدركت مع كل يوم يربأها تنتمي إليه أما بالنسبة إلى الخالة دورتي فهي ستبحث عن

وسيلة لتعرضها ما بذلت حتى لو كان ذلك يعني البحث عن عمل، لهذا الأمر يجب أن تتحمل وحدها دون مساعدة من أبيها. حينئذ فقط

تتخلص من ذلك الشعور بالذنب الذي ينتابها من حين إلى آخر لتركها حالتها وحيدة سألت أن عن امكان العثور على فرصة للعمل في

الجزيرة وشرحت لها الاسباب وأصرارها على عدم اللجوء إلى مساعدة والدتها لبدورها أن قائلة وهي تربت على ذراعها:

«أنا أحترم حيك للاعتماد على النفس، ولكن ألم يكن في نيتك الالتحاق بكلية المعلمات»

«نعم، لكن لخبرتي سيستغرق ثلاث سنوات. أما أرغب في العمل في

أحد المكاتب أو في أي مكان»
«في وسعك أن تعلمي هنا في المدرسة، فلماذا لا تسألين غافن إذا كان ذلك ممكناً»

ولا أعلم، سأفكر في الأمر»

قرب يوم الزفاف، نهضت جين مبكرة وذهبت إلى منزل ميفان لوضع اللبسات الأخيرة لثوبها.
منزل ميفان يشبه كثيراً منزل جون، كان فسيحاً وأبيض، وأثاثه هادئ. وقد تاثرت السجاجيد على أرضيته والأزهار في كل غرفة، كل ما في المنزل يدل على أن ساكنته امرأة قادتها ميفان إلى غرفة الحياكة فشهقت جين لرؤية الثوب ثم صاحت قائلة:

«انه رائع يا ميفان»

«تعال، جربيه، ويعدنذ سأريك ما لدي من قبعات»

«كيف يمكنني أن أرى لك هذا الجميل؟»

«عشيري فقط أمك الروحية»

تضاحكت الاثنتان ثم بدأتا التجربة الأخيرة للثوب.

لم تكن جين قد رأت كنيسة الجزيرة، لكنها تخيلتها ذات طابع انكليزي بحت. لذلك كانت مفاجأة لها عندما رأت ذلك المسي الأبيض البسيط وسقفه انغمسيدي الأخضر يلمع تحت أشعة الشمس. وينبعث منه رنين الأجراس القوي.

غمر جين احساس بالجل لحظة وصولها هي والديها وميفان وكورلي فشتان بين أن تنظر إلى عسك في المرأة وتشعر بأنك في مظهر لائق وبين مواجهة عشرات من الأشخاص الغرباء، جميعهم يتسعون

بالأناقة والثقة بالنفس. أحسنت فجة وكان ادراكها متيقظ لكل شيء.
وكان حواسها قد شحذت فلا استيعاب كل ما يدور حولها. اخذت تتحدث وتبتسم بخجل لأصدقائها أسرة سوواي. ثم انسحبت هي وميفان إلى ركن هادئ، وسألتهما جين بنفسول.

«من تكون الفتاة هناك؟»

أشارت جين إلى فتاة ذات شعر داكن وأنيقة الجبال.

«هذه هي كاي والاس. إنها على علاقة متينة مع غافن

بدأ هذه هي الفتاة التي تحدثت عنها أن أحسنت جين بأنم حاد ولكنها لم تدرك سببه.

تلقى الحشد إذ بدأ الجميع يدخلون الكنيسة. خفت الترتلة لينبعث صوت الأرغن الرخيم. لم تكن جين قد رأت غافن بعد بدأت تنظر حولها، كانت الجدران ذات لون أصفر شاحب والسقف ذا عوارض خشبية داكنة، في المقدمة جلس رجلان، أحدهما كان شخصاً غربياً، أما الثاني فكان ظهره مألوفاً بشكل محير.

حدثت جين نفسها قائلة، بالطبع كان يجب أن أعرف - غافن هو شاعر العريس. استدار قليلاً ليتحدث إلى زميله وقد تباهين بحدته. الشكل الجانبي تقسبات وجهه مع الحائط الأصفر المتأهب. كان وسيماً للغاية فأحسنت جين وكان قلبها يتربح فأشاحت بعصرها بعيداً خشية أن يراها أحد يحمليق فيه خاصة كونين الذي كان يجلس جوارها.

في اللحظة التالية بدأ الأرغن يعزف لحن بهيء العروس. المعروف. تحولت الأنظار صوب العروس. إن هناك شيئاً مشيراً للمعاطف في طقوس الزواج تلك حدثت جين نفسها لكنها وجدت عينيها

أحد المكاتب أو في أي مكان»

في وسعك أن تعلمي هنا في المدرسة، فلماذا لا تسألين غافن إذا كان ذلك ممكناً؟

«لا أعلم، سأفكر في الأمر»

حرب يوم الزفاف. هضمت جين مبكرة وذهبت إلى منزل ميفان لوضع اللمسات الأخيرة لشويها.

منزل ميفان يشبه كثيراً منزل جون، كان مسيحياً وأبيض، وأثاثه هادئ، وقد تناثرت السجاجيد على أرضيته والأرهار في كل غرفة. كل ما في المنزل يدل على أن ساكنته امرأة قادت ميفان إلى غرفة الحياكة فتبهت جين لرؤية الثوب ثم صاحت قائلة

«انه رائع يا ميفان!»

«تعالى، جريبه، وبعثك سأريك ما لدي من قبعات.»

«كيف يمكنني أن أرؤ لك هذا الجميل؟»

«اعتبريني معط أمك الروحة.»

تصاحتك الانشئان ثم بدأت التجربة الأخيرة للثوب.

لم تكن جين قد رأت كنيسة الجريرة، لكنها تخيلتها ذات طابع إنكليزي بحث لذلك كانت مدحاة لها عندما رأت ذلك المبنى الأبيض البسيط وسقفه القرميدي الأخضر يلعب تحت أشعة الشمس. ويتبعث منه رنين الأجراس القوي.

غمر جين احساس بالتحلل لحظة وصولها هي ووالدها وميفان وكولن فشان بين أن تنظر إلى مفسك في المرآة وتشعر بذلك في مظهر لائق وبين مواجهة عشرات من الأشخاص الغرباء، جميعهم يتسمون

بالأناقة والثقة بالنفس، أحست فجأة وكأن أدراكها متيقظ لكل شيء. وكأن حواسها قد شحذت بلا استيعاب كل ما يدور حولها. أخذت تتحدث وتبتسم بهجول لأصدقاء أسرة موراي ثم انسحبت هي وميفان إلى ركن هادئ. وسألته جين بفضول:

«من تكون الفتاة هناك؟»

أشارت جين إلى فتاة ذات شعر داكن رائعة الجمال.

«هذه هي كاي والاس، إنها على علاقة متينة مع غافن»

إذا هذه هي الفتاة التي تحدثت عنها أن أحست جين بألم حاد ولكنها لم تدرك سببه.

تفرق الحشد إذ بدأ الجميع يدخلون الكنيسة. حفت الثروة ليتبع صوت الأرض الرخيم. لم تكن جين قد رأت غافن بعد. بدأت تنظر حولها، كانت الجدران ذات لون أصفر شاحب والسقف ذا عوارض خشبية داكنة، في المقدمة جلس رجلان، أحدهما كان شخصاً غريباً، أما الثاني فكان ظهرو مألوفاً بشكل محير.

حدثت جين نفسها قائلة، بالطبع كان يجب أن أعرف - غافن هو شاهد العريس، استدار قليلاً ليتحدث إلى زميله وقد تباین بهجة، انشكل الجانبين للسمات وجهه مع الحائط الأصفر الشاحب كان وسياً للعناية فأحست جين وكأن قلبها يتربع فأساحت ببصرها بعيداً خفية أن يراها أحد تحلق فيه خاصة كولن الذي كان يجلس جوارها في اللحظة التالية بدأ الأرغن يعزف لحن يحيي العروس المعروف.

تحولت الأنظار صوب العروس. إن هناك شيئاً مشيراً للعواطف في طقوس الزواج تلك حدثت جين نفسها لكنها وجدت عيبتها

مشبتين، لا على العروس والعريس، بل على غافن، لم ينظر وراءه ولا مرة واحدة، لم يرها، لكن حين أدركت أنه يعني تماماً أنها تنظر إليه. وبعد مضي دقائق، غجبت تلك اللحظة المصيرية. حدث ذلك مع انتهاء طقوس الزواج، فلقد استدار غافن للحظات، والتفت عيناه عني حين كانت عيناه داكنتين، لاحظت فيها ظلال المسافة الفاصلة بينهما لكن نظرات الاثنين في تلك اللحظة كانت وكأنهما كانا وحدهما في الكنيسة أشاحت حين برجهما بعيداً، مرتعشة بل إنها أحسنت بالدوار وغير قادرة على تحمل المزيد. عرفت الآن، إنها لمح غافن غرائت.

ترجعه المدعوون إلى الحفلة التي أقامتها أسرة موراي في منزلهما. أخذت جين تترس مع كولن و ميفان والديهما، أملة ألا تمسحها حركاتها. تقدم غافن نحوهم محدثاً ومعه كاي فشمعت جين بالألم بينما كانت كاي تتأبط ذراع غافن مجردة خفيفة كلمسة الفراشة، وهي تبسم لجين معربة لها عن إعجابها بشو بها. استجمعت جين شجاعته من مكان دفين فبادلتها الابتسام وتحدثت بطريقة طبيعية، بينما كان كولن يحيطها بذراعه في حفة، لم تقو جين على مبادلة غافن النظر وبدلاً من ذلك أخذت تراقب باعجاب جمال وجه كاي الهادي بتعبيره العصبي وعينيهما ذات الأهداف الكثيفة وهما ترمقانها بطريقة صادقة ودودة لم يكن فيها ما ينم عن المداع مثل سارة. كانت هناك ثقة كاملة بالذات جعلت جين تحس وكأنها صبية في طور الدراسة الثانوية. غير أن جين لم تكن تدرك كم كانت بدورها تبرز نظرة فاتنة في ثوبها وكم أضفى

عليها الحياء مسحة من البراءة.

كانت محبب في هدوء على أسئلة كاي حول انطباعاتها عن الجزيرة وعندما تدخل غافن في الحديث وذكرها خدماتها للمدرسة، تبادلوا النظرات، ليتها تستطيع أن تتصرف تصرفاً طبيعياً، بأدائها قائلاً،

«أريد أن أحدث معك في شأن المدرسة، قد لا يكون هنا المكان المناسب، تحدثت طويلاً مع أن موراي.»

فقدت ذوات قلب جين انتظامها. ترى ماذا قالت له أن؟ يا لي من حقا! كان يجب أن انتهها ألا تقول شيئاً. اهتست أخيراً قائلة، «في وقت آخر اسمعوا لي الآن. يجب أن أذهب لأرى ما إذا كان أبي يريد شيئاً.»

توارت جين ومعها كولن الذي أمسك بذراعها هامساً بحدّة: «قولي لي، ماذا بينك وبين غافن؟» «ماذا تقصدا؟»

«أنا لا أعرف! إنه مجرد شعور عندما يجتمعان كأن هناك شرارات خفية تتطأ في كل اتجاه، لا أعني اليوم لقد قد لاحظت ذلك من قبل.» «خيالك خصب.»

ودت عليه جين بسرعة وهي تلوح من بعد إلى أبيها الذي كان يجلس مع ميفان و مالك تحت جرة ظليلة في الحديقة. يجب أن تكون أكثر حرصاً ولا تدع مشاعرها تنكشف وإلا كنت النتيجة مروعة، لا يمكن تكتنها. وفي محاولة يائسة تمكنت من أن تقول،

«في الواقع إن هناك نوعاً من عدم الاستطاف بينما، هذا هو كل ما لي

الأمر ان هذا يحدث أحياناً، مجرد تعارض في الشخصيات.»
«ليس الأمر بهذه الأهمية»

تأبط ذراعها وانضبا الى المدعوين.

بدأ الرقص فوق المروج الخضراء. عقدت جين مقارنة بين هذه
الأمسية وحفلة سارة، فالجو كان مختلفاً تماماً. كانت سارة هذه
الليلة في الحفلة وقد نجح غافن في تقسيم وقته ببراعة بين سارة
وكاي. انه يملك كل شيء، المظهر الحسن والثناء وقتاتين جذابتين. إنه
بارع حقاً - وهي بكل شبانها وقعت في شركه. أحسّت بألم حاد
كالسكين لرويته يرقص مع كاي، حاولت في بأس أن تسترخي بين
ذراعي كولن. يا ليتها كانت تحس ولو بذرة عاطفة تجاه كولن، يا
ليتها كانت ولكن ما من فائدة.

رقصت جين مع مالك الذي قال:

«والحق أبوك على السفر الى سيلان نعرهس نفسه على طبيب
اختصاصي. كل هذا كان بتذكرك، لقد أقنعتك بأن يفعل ذلك من
أجلك.»

«مالك، أنا سعيدة للغاية. متى سيذهب؟»

«يوم الثلاثاء وسأذهب معه.»

«هل أذهب معها أيضاً؟»

خفت حدة الموسيقى وقد وقفا في رقعة ظليلة بعيداً عن الفوانيس
التي عللت عبر الحديقة. حلك ذهنه مليكراً ثم قال:
«لا أعرف يا جين، فغافن هو الذي سيأخذنا بطائرته.»

وقبل أن ينهي جملة، رأت الرجل الذي ليس في وسعها أن تتعاشاه

تدأماً وحده نحوها لبارده مالك:

«هل يمكن أن تأتي جين معنا الى سيلان؟»

نظرا إليها غافن في صمت وأحسّت إنها ترتعش كمن ارتكب خطأ.
ثم قال:

«سبقكم شخص آخر وطلب مني الطلب نفسه.»

تردد قليلاً ثم قال:

«مالك، هل يمكنني أن أتحدث مع جين على انفراد؟»

«هاتأكبه الى اللقاه»

تأبط غافن ذراع جين وقادها الى رقعة داكنة من هلال
الأشجار وقال في رقة

«أريد فقط أن أتحدث معك. دعينا تجلس هنا.»

أشار الى مقعد تحت شجرة، اتجهت اليه جين وهي سعيدة بفرصة
الجلوس قبل أن تخونها قدمها.

«أهلفتنى أن بأنك تريدني عملاً.»

رفع يده طالباً منها الهدوء أمام شهقتها ثم قال:

«أنا أسف، دعيتني استخدم عبارة أخرى. هل تلبين بالعمل في المدرسة
بشكل منتظم في مقابل راتب مناسب؟ أنت تنوين البقاء هنا، أليس
كذلك؟»

ثبتت جين نظرها على يديها وقد شيعتها في تورث كيف يمكنها أن
تفعل ذلك الآن؟ كانت لديها مخاوف من العمل في مدرسة طاعن،

والآن زادت تلك المخاوف بعدما أدركت أنها تحبه

«لا أعرف.»

«لا تعرفين ماذا؟ لا تعرفين ما إذا كنت ستفدين في سارامانكا، أم لا تعرفين ما إذا كنت تودين العمل في المدرسة؟»

أسرعت ضربات قلب جين، لقد غمرها احساس بالطمانينة وهي قريبة منه. ما هذا التبدل المفاجيء في نظرتها اليه؟ قالت: «كانت مجرد فكرة، فأنا لا أريد أن...»

كانت على وشك أن تقول «لا أريد أن أعمل لديك» ولكن الكلمات توفقت.

أطلق ضحكة صديرة وقال:

«لا تودين أن تعلمي في مشروع يخصصني. أليس كذلك؟»

ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة:

«هذه هي الحقيقة ما دمت قلتها بنفسك.»

كانت تعرف أنه غضب نظر اليها بعينين فافتحت قائلاً:

«شكراً لصراحتك. هل لي أن أسأل لماذا؟»

«لا أعرف.»

لم تقو على الاشارة بعينيها بعيداً، فقد كانت عوناء مركبتين عليهما «نعم تعرفين، ماذا هناك؟ أنت خائفة من أن تقدمي على أي عمل يؤذي. أليس كذلك؟»

شيء ما في صوته فجر كل توترها العصبي. لماذا أخضع لهذا الارهاب؟ لماذا أصبح كالآخرين؟ ليس لدي ما أخسره. انه يعتبرني طفلة.. فما من شيء على الاطلاق يقدر أن يجعله ينظر إلي كما ينظر إلى سارة.

«أنا لا أود أن أعمل معك لأنك تتصور إن في إمكانك أن تصدق

الأوامر للجميع لكني لن أسمع لك بذلك.»

«إما أنك ترحبن وإما أنك جنتت، أن أصدر الأوامر للجميع. متى حصل ذلك؟»

أهملت نبرته الساحرة برودة على كفايته هفت جين بالوقوف.

لكنه بحركة هنيئة أجلسها مكانها لئلا

«اجلسي. أنا فعلاً أحب أن أمرك أحياناً. للعتة على هذا التفكير لماذا

تدخلين دأنا في صراع معي؟»

«أنا؟ كيف كان ذلك؟»

«بالطريقة الأنوية الماكرة، وأهبطت إلى ذلك...»

«أنا لن أبقى هنا لأسمع أهانتك.»

نهضت وضربت الأرض بقدمها بشدة وقالت:

«كيف تجرؤ أن تتحدث معي بهذا الشكل، عد إلى صديقك وأنا..»

«رأيت تعودين إلى صديقك كولين.»

وبعد ما نهضت أضاف:

«أنت لا تقبلين الاهانة، بينما تسمحين بتوزيعها على الآخرين، لماذا لا

تقدمين على صفعي؟»

«لا تستفزني.»

تطلعت بعينين قنقتين نحو المنزل فبادرها لئلا

«لم يلاحظ أحد شيئاً. لكن استمري، فأنت تحقين تقدماً.»

«أنا أكرهك! هل تسمعين. أكرهك!»

«تكرهيني؟ أذن دعينا نرى ما إذا كنت تكرهين هذا أيضاً.»

جذبها بقوة نحوه وقد أحاطتها ذراعاه بقبضة قوية ساحقة جعلها لا

تقوى على الحركة. حاولت ان تقاوم لكن فشلت. أبعدها عنه وقال لي
حدة:

«لن أعتذر حتى ولو اعتذرت فان موقفى لن يكون حقيقياً»
صاحت وهي ترتعش من هول الصدمة:

«أفكذا تخارب النساء؟»

«نعم. اذا أردت هذا التفسير».

«أنت حقير كريمة!»

«أنا أعرف ذلك. ولذلك فلى تستغربي إذا كان سلوكى سيئاً».

مع هذه الكلمات استدار عائداً الى المنزل بينما ولفت جين وحدها.

ثم سمعت حركة مجاورة فاستدارت لترى كولن أمامها. كان في

حالة هياج أحست بأنها على وشك الهكاه رمدت يدها لتلمس ذراعه

فأفصلها عنه واستدار بدوره عائداً الى المنزل أغلقت جين

عينها. أما هذا الكابوس من نهاية؟

٩ - العاصفة!

استمعلات جين وهي في فراشها أحداث ليلة أمس وترأى لها ما
شاهدته عند عودتها الى منزل أسرة موراي. كان غالن يواصل
سيرة وقد تقاربا بينما كان كولن يمسك بهكاي بين
ذراعيه. فغزت جين جالة في فراشها. لا فائدة من الاسترسال في
التأمل عليها الآن أن تنهض وقضى اليوم مع أبيها في هدوء.
يلدوها لائلاً وهما جالسان في الغناء:

«هل استمتعت أمس؟»

«أنا سعيدة بك يا أبى علمت أنك ستعرض نفسك على صديق مالك

هذا الأسير».

«نعم. أجزني مالك على ذلك».

«أنا سعيدة بذلك يا أبى أنت تبدو أفضل مما كنت يوم وصولي الى

سارامانكا».

مدت يدها وأمسكت بيده فائنة:

«هل يمكنك أن أعيش معك هنا؟»

لم تكن تقصد أن تقول ذلك، لكن شيئاً ما دفع تلك الكلمات الى فمها.

«جين، إبتسي العزيرة اتريدين البقاء حقاً. لم أعد في حاجة الى طبيب ما دمت ستكونين الى جانبي.»

صاحت جين وهي تضحك وتبكي في آن واحد:
«هل يجب أن تذهب يا أبي.»

«لا تقلقي كنت أمزح فقط والآن سأذهب لأرى إلن.»

انفردت جين بنفسها وراحت تفكر ألزمت نفسها بالبقاء وعلى أن أتعلم كيف اواجه الأمور. على أن أتعلم كيف أصنع على جلدي طبقة ثانية تحميني من سخرية غالفن. أنا أعرف أنني اخترت القرار الصواب فأبي وليس غالفن هو من يهمني.

حضر غالفن و مائه صباح الثلاثاء ليصحبها والدها الى المطار كانت سارة أيضاً في السيارة. حاولت جين ألا تنظر الى غالفن الذي حياها عن بعد وكأنه يأبى الكلام.

وهكذا رحلوا وتركوها واقفة هي وإلن على السلم. داخلها فور إختفائهم شعور بالفراغ. لم يمر على وجودها في سارامانكا سوى أسبوعين وهي تشعر الآن بأنها ستفقد الرجل الحنون، والدها.

بقي في خاطرها وجه غالفن عندما كان ينظر اليها منذ لحظات ليعتصر لديها. كانت نظرتة رافضة حادة. حاولت ألا تذكر تلك البسمة الخفيفة المنتصرة التي علت شفתי سارة وهي تلوح من السيارة.

صحبته ميغان في الثامنة صباحاً الى المدرسة ونجحت جين بعد جهد في تحية غالفن و سارة عن خاطرها كما تهنت ميغان

بهارة الحديث عن غالفن أو كولن. في ذلك المساء اتصل بها أبوها تليفونياً. كان صوته مليئاً بالحنوية وأبلغها أن الطبيب الاختصاصي طلب منه البقاء ليلة أخرى وأكد لها أنه سيتصل بها مرة أخرى مساء الغد للاطمئنان عليها.

أمضت جين اليوم التالي مع ميغان في شراء بعض الحاجيات من هورت باتريك ثم تناولتا القهوة المشبعة في منزل ميغان. غادرت جين منزل ميغان في الخامسة تقريباً وأصرّت على أن تعود سيراً على القدمين. للمرة الاولى أحسّت بوحدة شديدة. فور عودتها الى المنزل صاحت منادية:

« إلن، لقد عدت.»

لا جواب. الصمت يحثم على المنزل. أحسّت جين بالخيرة دخلت الى المطبخ وهي ترجّح أن تجد مديرة المنزل هناك. بدلاً من ذلك وجدت مذكرة من إلن تخبرها فيها بأن اختها مريضة وقد ذهبت لترعى أولادها وانها ستعود الليلة.

لم يكن أمامها إلا أن تحاول الاستفادة من وحدتها وتلهي نفسها بأي عمل منتظرة اتصال والدها وعودة إلن. صعدت الى الطابق الأعلى لتستحم. لبست الشورت وأرخت شعرها وجلست في فناء المنزل تتصفح بعض كتب والدها. كان الجو هادئاً لا يزعج سكونه سوى رطوبة جناح طائر يلعب تحت أشعة الشمس. اخترق صوت آخر ذلك السكون، صوت طائرة. وعندما توقف ساد الهدوء من جديد، انقضت جين في الفراة لتفريق فجأة على صوت الامطار تهطل. أخذت ترقب قطرات المطر الكبيرة تتناثر أمامها بينما تبذل الجو وازداد برودة ولفت

الآن وسط الحديقة وقد رفعت وجهها لتحسن قطرات الماء على وجنتيها. المطر هنا يختلف تماماً عن المطر في انكلترا. كانت القطرات كبيرة، ناعمة، ومهدئة بشكل غريب. بعد لحظات أدركت أنها ستبتل فاحتسبت مرة أخرى بالمظلة ترقب المطر سمعت رنين التليفون فدخلت بسرعة. كان الخط يطفئ من على بعد وجاء صوت أبيها ضعيفاً:

«جين هل تسمعين؟ ذهبت إلى الطبيب وهو يعتقد أن مرضي عصبي في الأصل. واختفى صوته تماماً فقالت جين: «أؤكد لا اسمك. لكني سعيدة بهذه الأنباء».

تعالى الطقطقة في الخط التليفوني فاضطرت جين أن تبعد الساعة ثم صاحت:

«لا أستطيع أن أسمعك».

«سأحاول أن أتصل بك ثانية، إلى اللقاء يا جين».

«إلى اللقاء يا أبي».

ماذا أراد أن يقول. لا يهم. الأمر الأساسي هو أن الطبيب يرى أن مرضي أبيها ليس خطيراً. وشعرت بالراحة. أشعلت النور الذي أضاف بعداً جديداً إلى الامطار المتساقطة لقد عكستها وهدت كجدار نقي لاصع يتوهج ويتحرك.

تغيرت طبيعة المطر بعد نصف ساعة. لقد هدأت قليلاً. رفعت جين رأسها وقد ظنت أن المطر أوشك على التوقف لتسمع فجأة صوتاً مدوياً. أضاء البرق السماء كلها وفي الوقت نفسه جاء صوت الرعد ينفق كل ما سبقه من أصوات. كان صوتاً غنياً يتردد صده في كل مكان. أحسّت بضربات قلبها تسرع، تخاف من العواصف منذ أن

رأت في طفولتها شجرة تنقسم إلى نصفين بقوة البرق. هزعت إلى الداخل وأنزلت الستائر، لكنها وجدت نفسها ترتعش في انتظار عودة البرق. أحسّت جين بالوحدة والخوف كما لم تحس بها من قبل وبعد لحظات سمعت نباح كلب وكأنه نواح. إنه كارلو وسط مخاوفها تؤكد لديها نوع من الشجاعة. تحمّلت وجه كارلو وهو ينظر إليها وفكرت أن تفعل شيئاً من أجله. ركضت جين نحو الباب الخلفي ولد تضامل خوفها بعد أن أشدّ قلقها على كارلو.

ولت قدم جين وانزلت مراراً عبر الممر الموصل بين الباب الخلفي والأشجار الكثيفة التي تفصل بين منزل أبيها ومنزل غافن. بدت تلك المنطقة كمكان مهجور وقلت تحتسي بالأشجار ثم ما لبثت أن رأيت شيئاً أسود يتحرك نحوها فصرخت في نوبة ذعر وتلاحفت ومضات البرق لتري جين من خلالها رجلاً يتقدم نحوها راقباً يديه. سمعت من يتادها: جين اختلط عليها كل شيء. العالم والمطر والظلمة فسقطت مقلتاً عليها بين ذراعيه.

فتحت جين عينيها لتجد غافن قريباً فاجتاحها شعور بالذعر لا علاقة له بالعاصفة. ففزت جالسة، تلفتت حولها وهي تنحس ثيابها المبتلة وقد اتصلت بجسدها.

«نحن في منزلي يا جين».

رأت كارلو جالساً في جوارها وقد علا وجهه تعبير قلق وكأنه فهم كل شيء كما رأته غافن بوضوح الآن. كان شعره لامعاً وقد بالله المطر والتصقت ثيابه المبتلة بجسده. ففزت من مكانها وقد رأته البرق يتوهج قرب النافذة لتسمع صوت انفجار صغير أعقبه انقطاع التيار

الكهربائي. سمعت زحمة الرعد وكأنه أت من السلف فقفزت»
«كل شيء على ما يرام سأحضر مشعلاً»

حاولت التخلص من قبضته قائلة،

«لن أبلى هنا معك»

«لا تكوني خفاة، ستمكثين هنا على الأقل حتى تنتهي هذه العاصفة»

كانت الغرفة حالكة الظلام. استدارت وهي لا ترى شيئاً فتعثرت
باحدى قطع الأثاث، مذبذراعه وأمسك بها بقوة وهي تحاول دفعه
بعيداً:

«لا تحاولي الفرار لا ولا تقاومي. اطردي الخوف ولو للحظة واصفي
إلى»

وبعركة مفاجئة جذبها الى الأريكة.

«ماذا جئت الى هنا»

«لأرى ما إذا كان كارلو في مأمن. لم أعرف أنك هنا»

«هل جئت وحدك في مثل هذا الجو من أجل كلب»

«سمعته يتبع، وغيل إلى أنه خائف. لم أتوقع أن أراك»

«كنت في طريقى لأتفقدك أنت وإلن»

«إلن ذهبت تزور أختها وكنت وحدي»

بدأت ترتعش وكان احساسها بالصدمة جاء متأخراً:

«يا لك من طفلة مسكينة»

لم يكن هناك أثر للسخرية في صوته. لم تجد سوى الشفقة وهي لا

تحتاج إليها. تقلعت وقد أدركت فجأة أن ذراعيه تضغطان عليها بشدة:

«ليس هناك داع لشعر بالشفقة علي»

ارتجبت الغرفة بصوت الرعد، تسقط شيء من قطع الزينة قريباً
فارتعدت»

في لحظة الصمت التي أعقبت العاصفة سمعت تردد انفاسه وأحسّت
بيده تقترب من وجهها فهمست قائلة،

«أرجوك ان تتعد عني»

«جين، أه لو تعلمين...»

جاء صوته عذبا مرتعشاً. توفف ليطولها بذراعيه ووجدت نفسها
تتجاوب مع ذلك اللبنة. تعلقت به لكنه ابتعد قائلاً،

«ما من فائدة يا جين. لم يعد ممكناً استمرار الصراع بيتنا. قولي إنك
لا تكرهيني»

تحسس ذنبا ثم ربت على وجنتيها قائلاً:

«أحبك. ابتها الصغيرة»

كاد قلبها ينلطر لصاحت وهي لا تصدق:

«قل هذا مرة ثانية»

«أحبك، لم أقل هذه الكلمة لأية امرأة مثلك، لم لا تضحكين، ألا

تجدين هذا مضحكاً للغاية؟»

«لكني لا أصدق. هل هذه دعاية؟»

صدرت منها شهقة باكية.

«جين، حبيبتي لا تبكي أرجوك. لا أحتمل رؤيتك وأنت تبكين.

نسيت العاصفة، لم تعد تزعجها الآن. مدّت يدها وتحسست وجهه
قائلة:

«قلها مرة ثانية»

«أحبك» .

«وأنا أحبك أيضاً. لكنني كنت أعتقد أنك تكرهني» .
«كنت أريد أن أكرهك. أنذكركين عندما دخلت بيت أبيك وكنت تعزفين
على القيثارة. وأنتك فأصغيت للمرة الأولى في حياتي بالخوف. فأنت
صغيرة جداً وأنا أكبرك بثلاثة عشرة سنة» .

وضع أصبعه على شفتيها ليحبس شهقة ألم وأحاف:
«اسمعي حتى النهاية يا حبيبتي. تلك الليلة في حفلة سارة كنت
أخطط للوصول إليك لكنني تراجعته لأنني أيقنت بأنني أحبك في
صدق. ومع ذلك كنت أقاوم فكرة الاعتراف بذلك. ولهذا بدوت لك
فاسياً متعجرفاً» .

قالت وهي ترمقه بحنان:

«أدركت أنني أحبك في الكتيبة يوم الزفاف. كنت أقاوم هذا الحب
بدوري لأنني. اعتقدت بأنك تحب سارة كما يردد الجميع» .
«أعرف ما يقوله الناس. لكن الحقيقة هي أنني لم أحب أخته امرأة في
حياتي. إلى أن جئت انت. وأعرف أنني إنسان أناني إلى أن تعلمت منك
أن المال والعمل ليسا كل شيء في الحياة. لقد غيرت حياتي كما غيرت
حياة والدك» .

تولف برقة ثم أضاف:

«هل نبلين في ساراتكا وتزوجينني؟»

«نعم... نعم يا غافن» .

خدت العاصفة والختنق وميض البرق ودوي الرعد وبدأت مرحلة
جديدة في حياة جين و غافن.